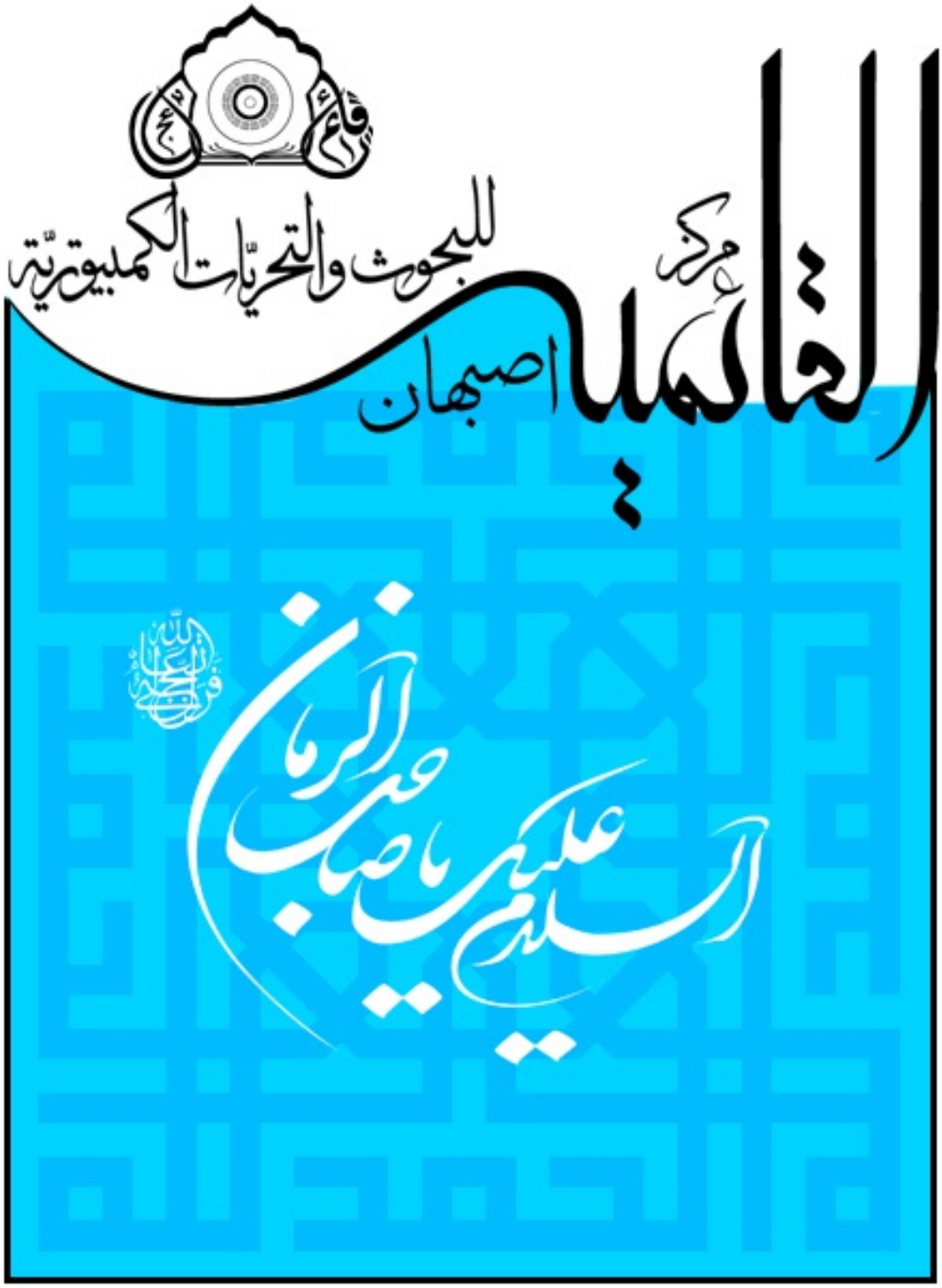

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

تاريخ الفقه و تطوراته

(المنتخب)

١٤

جامع المقاصد

بسم الله الرحمن الرحيم

تأريخ الفقه و تطوراته (المنتخب)

كاتب:

جمعی از نویسندگان

نشرت فی الطباعة:

مجله حوزه

رقمی الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
تاریخ الفقه و تطوراته (المنتخب) المجلد ۱۴ ----- ۷
اشارة ----- ۷
اشارة ----- ۷
المقدّمة ----- ۷
اشارة ----- ۷
الفقه لغة و اصطلاحا: ----- ۹
تدوین الفقه ----- ۱۰
اشارة ----- ۱۰
الغرض المتوخّی من التدوین ----- ۱۰
من آثار التدوین: ----- ۱۱
من تأریخ المذاهب: ----- ۱۱
اشارة ----- ۱۱
المذهب المالکی: ----- ۱۴
المذهب الحنفی: ----- ۱۵
اشارة ----- ۱۵
و مسائل الفقه عند الحنفیة ثلاثة أقسام: ----- ۱۶
الأوّل: الأصول، ----- ۱۶
الثانی: النوادر، ----- ۱۶
الثالث: الفتاوی، ----- ۱۶
المذهب الشافعی: ----- ۱۷
المذهب الحنبلی: ----- ۱۸
طور التقلید: ----- ۱۹

الوثوق بالمؤلّفات: ----- ۲۰
المدارس و أثرها: ----- ۲۱
الفقه الشیعی- أسسه و أدواره- ----- ۲۱
اشارة ----- ۲۱
الدور الأول (دور التشریع) ----- ۲۲
الدور الثانی (دور التدوین) ----- ۲۴
الدور الثالث: (دور التطوّر): ----- ۲۷
الدور الرابع: (دور الجمود و التقلید) ----- ۲۸
الدور الخامس (دور النهوض): ----- ۲۸
الدور السادس: (دور الرشد و النمو) ----- ۲۹
اشارة ----- ۲۹
حلقة الوصل: ----- ۳۱
الدور السابع: (دور التکامل) ----- ۳۲
تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ----- ۳۳

تاريخ الفقه و تطوراته (المنتخب) المجلد ۱۴

اشارة

نام كتاب: تأريخ الفقه و تطوراته(المنتخب)

موضوع: تاريخ فقه و تحولات آن

نويسنده: جمعى از بزرگان

تاريخ وفات مؤلف: ه ق

زبان: عربى و فارسى

قطع: وزيرى

تعداد جلد: ۲۰

تاريخ نشر: ه ق

محقق/ مصحح: گردآورنده: على رضا رحيمى ثابت

ملاحظات: اين مجموعه از برخى كتابهاى موجود در نرم افزار "جامع فقه أهل البيت عليهم السلام "جمع‌آورى شده است

اشارة

المقدّمة

اشارة

مقدمة جامع المقاصد

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الحمد للّه ربّ العالمين، و الصلاة و السلام على خير خلقه و أشرف بريّته محمد و على آله الطيّبين الطاهرين.

و بعد:

ان القانون- الوضعى- الذى يضعه البشر لأنفسهم لضمان مسيرة المجتمع الذى يعيشون فيه محدود بمحدودية الإنسان، لا يستطيع أن يغطّى كلّ المجتمعات البشريّة، و لا- أن يستوعب كلّ الأزمان، و لذا فهو يختلف باختلاف الأشخاص الذين يضعونه- فكرهم، مجتمعهم، حاجاتهم، مستواهم الحضارى- و يختلف باختلاف الأزمان فإنّ لكلّ زمن حاجاته التى يختلف فيها عن زمن آخر.

يقول القانونى الكبير الدكتور السنهورىّ عن نقص القانون الفرنسى و تغيّره حسب الزمن:

«و التقنين الفرنسى قد قدم به العهد و هو اليوم متخلّف عن العصر الذى يعيش فيه قرنا و نصف القرن، و فى خلال هذه الأجيال الطويلة ارتقى التقنين المقارن إلى مدى جعل التقنين الفرنسى فى الصفّ الأخير من التقنينات الحديثة.

تأريخ الفقه و تطوراته (المنتخب)، جامع‌المقاصد، ص: ۲

فهناك مسائل ذات خطر كبير نبتت فى العهود الأخيرة، و نمت و ازدهرت فاحتوتها تقنينات القرن العشرين، و لا- نجد لها أثرا فى التقنين الفرنسى و قد ولد فى فجر القرن التاسع عشر، و لا فى تقنيننا المدنى- أى المصرى- الذى أخذ عنه فمبدأ التعسف فى استعمال الحق، و نظريّة الاستغلال، و نظام المؤسسات، و تنظيم الملكيّة فى الشيوع و عقود التزام المرافق العامة، و عقد التأمين، و حوالة الدين، و الإعسار المدنى، كلّ هذه المسائل الخطيرة لا نعثر على نصّ واحد فيها لا فى التقنين الأصل، و لا فى التقنين المقلد، و حتّى فيما

احتواه هذان التقنينان من النظريات و الأحكام نرى الكثير منها ناقصا مبتورا» «۱».

ثمّ يستطرد قائلا: «تقرّر تنقيح القانون الفرنسى و شكّلت لهذا الغرض فى سنة ۱۹۴۵ لجنة من كبار رجال القانون فى فرنسا و على رأسهم عميد كلّيّة الحقوق بجامعة باريس الأستاذ جوليودى لامورانديير» «۲» و قد بحث هنا بحثا مفصّلا عن العيوب الشكليّة للتقنين المدنى القديم.

هذا و لم يقتصر التعديل و التصحيح على القانون الفرنسى وحده بل انظر إلى القانون الإيطالى و السويسرى اللّذين تحدّث السنهورى عن تبدّلهما بتبدّل الزمان قائلا:

«المشروع الفرنسى الإيطالى أكسب التقنينات اللاتينية العتيقة جدّة لم تكن لها، و نفخ فيها روح العصر، و جمع بين البساطة و الوضوح مع شىء كثير من الدقّة و التجديد، على أنّ المشروع يكاد يكون محافظا إذا قيس إلى التقنينات العالمية الأخرى.

و التقنين الالمانى يعدّ أضخم تقنين صدر فى العصر الحديث، و هو خلاصة النظريات العلمية الألمانية مدى قرن كامل، و يبزّ من الناحية الفقهية أى تقنين آخر، فقد اتّبع طريقة تعدّ من أدقّ الطرق العلمية و أقربها إلى المنطق القانونى،

---

(۱) الوسيط ۱: ۴.

(۲) الوسيط ۱: ۵.

و لكن هذا كان عائقا له عن الانتشار، فإنّ تعقيده الفنّى و دقّته العلميّة أقصياه بعض الشىء عن منحى الحياة العمليّة، و جعلاه مغلق التركيب، عسر الفهم.

و التقنين النمساوى يرجع عهده إلى أوائل القرن التاسع عشر، فقد ظهر فى سنة ۱۸۱۲ عقب التقنين الفرنسى، و لكنّه لم يتح له من النجاح ما اتيح لهذا التقنين، لذلك بقى محدود الانتشار فى اوربا حتّى غمرة التقنين الألمانى، و قد قام النمساويون بتنقيح تقنينهم فى أول سنىّ الحرب العالميّة الاولى، و ظهر التنقيح فى سنة ۱۹۱۶. فأعاد لهذا التقنين العتيق شيئا من الجدّة و المسايرة لروح العصر.

أمّا التقنين السويسرى- تقنين الالتزامات و التقنين المدنىّ- فقد كان المنتظر أن يكون- و هو من عمل «فيك و هو بر» - عملا فقهيا، فإذا به ذو صفة عمليّة بارزة، و يجمع التقنين السويسرى إلى الوضوح و البساطة الدقّة و التعمّق، و إن كان خداعا فى بعض المواطن فيما يتّسم به من وضوح و دقّة» «۱».

و لكنّ المؤسف حقّا عند ما نرى الدكتور السنهورى يجعل الفقه الإسلامى المصدر الثالث للقانون المدنىّ بعد النصوص التشريعية و العرف «۲».

و يأمل فى هامش تلك الصفحة أن تكون الشريعة الإسلامية هى الأساس الأوّل الذى يبتنى عليه التشريع المدنى.

و يطالب بعد ذلك بالقيام بنهضة علميّة قويّة لدراسة الشريعة الإسلامية فى ضوء القانون المقارن، و يرجو أن يكون من وراء جعل الفقه الإسلامى مصدرا رسميا للقانون الجديد ما يعاون على قيام هذه النهضة.

و مع مطالبته بالدراسات الجادّة للشريعة الإسلاميّة نراه يقول: «إنّ كتب الفقه الإسلامى بالدرجة الثانية من الأهميّة». مع علمه بأهميّتها، و مدى تأثيرها على القانون المدنى الخاص. و يكون ذلك فى موارد لم تتعرض لها بقية القوانين الأخرى.

و يقول أيضا: «يجب أن يراعى فى الأخذ بأحكام الفقه الإسلامى

---

(۱) مجلة القانون و الاقتصاد ۱۲: ۵۵۵- ۵۵۹ نقلا عن الوسيط ۱: ۵۰ الهامش.

(۲) الوسيط ۱: ۴۸.

تأريخ الفقه و تطوراته (المنتخب)، جامع‌المقاصد، ص: ۴

التنسيق ما بين هذه الأحكام و المبادئ العامة التى يقوم عليها التشريع المدنى فى جملته، فلا يجوز الأخذ بحكم فى الفقه الإسلامى يتعارض مع مبدأ من هذه المبادئ، حتّى لا يفقد التقنين المدنى تجانسه و انسجامه، و فيما قدّمناه من الرخصة فى الأخذ بمذاهب الفقه جميعا- دون تمييز بين مذهب و مذهب- ما يجعل تحقيق هذا التنسيق ميسورا فلا يضلّ الباحث فى تفصيلات الفقه الإسلامى و لا يختار منها إلّا ما يتّسق مع المبادئ العامّة للتشريع المدنى» «۱».

يقول هذا متناسيا قوله: «فمن المبادئ العامّة التى أخذ بها النزعة الموضوعية التى نراها تتخلّل كثيرا من نصوصه. و هذه هى نزعة الفقه الإسلامى و القوانين الجرمانيّة، آثرها التقنين الجديد على النزعة الذاتية التى هى طابع القوانين اللاتينية و جعل الفقه الإسلامى عمدته فى الترجيح.

و من هذه المبادى أيضا نظريّة التعسّف فى استعمال الحق».

«و من الأحكام التى استحدثها التقنين الجديد مسائل تفصيلية اقتبسها من الفقه الإسلامى، و من هذه المسائل الأحكام الخاصّة بمجلس العقد، و بإيجار الوقف، و بالحكر، و بإيجار الأراضى الزراعيّة، و بهلاك الزرع فى العين المؤجرة، و بانقضاء الإيجار بموت المستأجر، و فسخه للعذر، و بوقوع الإبراء من الدّين بإرادة الدائن وحده» «۲».

هذا، و للقانون الوضعى مصادر متعدّدة- كما يقول البدراوى- هى فى الغالب: التشريع و العرف و الشريعة الإسلامية و مبادئ القانون الطبيعى و قواعد العدالة «۳». و قد أفاض أساطين علماء القانون الوضعى فى مدح الفقه الإسلامى و الإشادة به، و وصلوا إلى أنّ القوانين الصالحة التى سنّها علماء القانون هى من وحى فكر علماء الإسلام و جهابذته إلّا ما خرج عن نطاق الإسلام بإباحة ما حرّمه اللَّه أو تحريم ما أباحه اللَّه.

---

(۱) الوسيط ۱: ۴۹، ۵۰.

(۲) الوسيط ۱: ۴۷.

(۳) المدخل للعلوم القانونية: ۵۸.

تأريخ الفقه و تطوراته (المنتخب)، جامع‌المقاصد، ص: ۵

فالفقه الإسلامى كان مصدرا هاما من مصادر التقنين و التشريع فى مختلف العصور و الأزمنة، و ما زال كذلك مرجعا لكلّ من أراد الحصول على الطريق الصحيح للحياة.

و اتّجهت الإنظار إلى هذا الفقه الشامل لكلّ مرافق الحياة رغبة فى الاستفادة و الاقتباس من درره و جواهره.

فالقانون الإسلامى هو قانون واحد يستمدّ مشروعيّته و قوّته و قدسيّته من الشارع الواحد الذى اتّفق عليه جميع علماء المسلمين و هو اللَّه جلّت قدرته، و هذا القانون الواحد يتمثّل فى القرآن الكريم و السنّة المطهّرة.

و لذا ترى إطلاق (الشارع) على اللَّه تعالى أمرا متّفقا عليه بين علماء المسلمين، فهم يعدّونه المشرّع الأول و لا مشرّع غيره، و إذا وجدت إطلاق هذا اللفظ على الرسول الأعظم صلّى اللَّه عليه و آله فإنّما هو تجوّز و مراعاة لمقام الرسالة، و لأنّه- صلّى اللَّه عليه و آله- المبلّغ للأحكام عن اللَّه تعالى.

و هذا القانون الشامل تجده فى العلم المختصّ به، و الذى أطلق عليه اسم (علم الفقه).

الفقه لغة و اصطلاحا:

الفقه فى اللّغة هو الفهم كما فى الصحاح «۱» و المصباح «۲»، و هو العلم بالشىء كما فى القاموس المحيط «۳».

أمّا فى اصطلاح الفقهاء فالفقه كان فى الصدر الأول يستعمل فى فهم أحكام الدين جميعها، سواء كانت متعلّقة بالايمان و العقائد و ما يتّصل بها، أم كانت أحكام الفروج و الحدود و الصلاة و الصيام.

و بعد فترة تخصّص استعماله فصار يعرف بأنّه علم الأحكام من الصلاة و الصيام و الفروض و الحدود.

---

(۱) ج ۶ ص ۲۲۴۳ (فقه).

(۲) ج ۲ ص ۴۷۹.

(۳) ج ۴ ص ۲۸۹.

تأريخ الفقه و تطوراته (المنتخب)، جامع‌المقاصد، ص: ۶

و قد استقرّ تعريف الفقه- اصطلاحا كما يقول الشهيد- على «العلم بالأحكام الشرعية العمليّة عن أدلّتها التفصيليّة لتحصيل السعادة الأخرويّة» «۱».

تدوين الفقه

اشارة

أرسل اللَّه تعالى محمدا صلّى اللَّه عليه و آله خاتم أنبيائه و مكمّل شريعته للبشرية، فبلّغ ما أرسله اللَّه به، و دلّ الناس على ما يسعدهم و ينجيهم فى معاشهم و معادهم، و بيّن لهم أحكام القرآن الكريم، الكتاب الشامل الكامل الذى فيه تفصيل كلّ شىء.

و كان المسلمون فى أيام حياته الشريفة لا يحتاجون إلى غيره صلّى اللَّه عليه و آله فى معرفة أحكام دينهم، و تبيين ما أبهم عليهم منها، أو ما لم تصل إليه إفهامهم.

و قد بدأ تدوين الفقه فى حياته- صلّى اللَّه عليه و آله- فقد كتب لعمرو بن حزم و غيره كتاب الصدقات و الديات و الفرائض و السنن، و كان عند على- عليه السّلام- صحيفة فيها العقل و فكاك الأسير و ألّا يقتل مسلم بكافر.

ثمّ كثر التدوين بعد وفاته- صلّى اللَّه عليه و آله- و قد صارت للمسلمين دولة كبيرة، و جدّت لهم حاجات متشعّبة فى البلدان المفتوحة، فدوّنوا ما اثروه عن رسول اللَّه- صلّى اللَّه عليه و آله-.

قال سعد بن إبراهيم: أمرنا عمر بن عبد العزيز بجمع السنن فجمعت دفترا دفترا، فبعث إلى كلّ أرض له عليها سلطان دفترا.

و قال اللهوردى (المتوفّى سنة ۱۸۶): أول من دوّن العلم و كتبه ابن شهاب الزهرى (المتوفّى سنة ۱۲۴).

و قد دوّن ابن جريج و ابن عروبة و ابن عيينة و الثورى و غيرهم، و دوّن سائر فقهاء الأمصار و أصحابهم «۲».

---

(۱) الذكرى: ۱.

(۲) موسوعة جمال ۱: ۴۷.

تأريخ الفقه و تطوراته (المنتخب)، جامع‌المقاصد، ص: ۷

الغرض المتوخّى من التدوين

لم تكن الغاية من التدوين منحصرة فى سبب واحد، و إنّما تجمّعت عدّة أسباب اضطرت المسلمين إلى تدوين علومهم جملة، و منها علم الفقه.

و من هذه الأسباب:

۱- كانت العرب أمّة تقلّ فيها الكتابة و القراءة، و كانوا يعتمدون على حافظتهم فى خزن ما يريدون نقله إلى أخلافهم.

و لما استبحر بهم العمران، و اختلطوا بالأمم الأخرى التى دخلت فى الإسلام، و اتسعت العلوم إلى حدّ لا يمكن معه الاعتماد على الذاكرة فى استيعاب فنونها المتشعّبة.

لذلك دوّنوا ما حفظوه فى الصدور من العلوم الإسلامية، لئلّا يضيع و يذهب بذهاب أهله.

۲- ترتيب المسائل ترتيبا منسّقا من غير تصرّف فى العبارات، و حفظ كلّ كلام بنصه.

۳- تدوين اختلاف الفقهاء من الصحابة و التابعين.

۴- العناية بآيات الأحكام، و بيان أقوال العلماء و المجتهدين فيها، و العناية بأحاديث الأحكام و السير فى شرح هذه الآيات و معرفة المراد بها.

۵- تدوين القواعد الكلية و أصول المسائل التى يبنى عليها التفريع فى المذاهب المختلفة.

۶- تدوين فتاوى مفت معين أو مفتين معروفين فى إقليم من أقاليم الدولة الكبيرة.

۷- الانتصار لرأى معين و الرد على من خالفه، كردّ محمد على أهل المدينة، و ردّ الشافعى على محمد بن الحسن.

۸- الجمع بين المسائل المتشابهة المختلفة الأحكام، و بيان ما بينها من فروق دقيقة دعت الى اختلاف أحكامها.

تأريخ الفقه و تطوراته (المنتخب)، جامع‌المقاصد، ص: ۸

من آثار التدوين:

كان من الآثار المهمّة للتدوين أن حفظت أقوال الفقهاء و آراؤهم و منهاجهم فى الاستنباط، و توارثها تلامذتهم و أتباعهم خلفا عن سلف، فكان أن ظهرت المذاهب الطويلة الأمد، بعد أن كان المذهب الفقهى يموت بموت مؤسّسة.

من تأريخ المذاهب:

اشارة

كانت كلمة الفقيه فى القرن الأوّل الهجرى تعنى العالم بسائر الأحكام من أصولية و تعبّدية و أخلاقية و عملية، و كان المفروض فى الفقيه أن يكون حافظا لآيات من القرآن الكريم، يعرف ناسخها و منسوخها و متشابهها و محكمها و المراد منها.

و كانت التسمية الشائعة للفقهاء هى كلمة القرّاء أى يقرءون القرآن الكريم و يعرفون معانيه باعتبار تميزهم عن عامة الناس، و لمّا نما علم الفقه و استقلّ بنفسه أبدل هذا الاسم ب (الفقهاء).

و قد كتبت فى هذا الدور الأحكام الشرعية و سمّيت تلك الكتب الصحائف:

منها ما أمر رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله بكتابته بعد هجرته إلى المدينة مثل أحكام الزكاة و ما تجب فيه و مقادير ذلك، و قد كتبت فى صحيفتين.

و منها ما أعطاه رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله إلى عمرو بن حزم لمّا ولاه اليمن حيث كتب له أحكام الفرائض و الصدقات و الديات و غير ذلك.

و منها ما أعطاه لعبد اللَّه بن حكيم من الكتاب الذى فيه أحكام الحيوانات الميتة.

و منها ما دفعه الرسول الأكرم (صلّى اللَّه عليه و آله) إلى وائل بن حجر عند ما أراد الرجوع إلى بلاده (حضرموت) من الكتاب الذى

فيه أحكام الصلاة و الصوم و الربا و الخمر و غيرها.

تأريخ الفقه و تطوراته (المنتخب)، جامع‌المقاصد، ص: ۹

و منها صحيفة أمير المؤمنين على (عليه السلام) التى ذكرتها كتب الفريقين.

و ممّا كتب من الصحائف فى هذا الدور أيضا صحيفة عبد اللَّه بن عمرو ابن العاص، و قد ذكروا أنّ فيها ما يكفى فى معرفة الشريعة كلّها فى جميع أبواب الفقه، و إن كنّا لا نؤمن بهذه المبالغة لأنّ عبد اللَّه و أباه أسلما قبل وفاة الرسول (صلّى اللَّه عليه و آله) بسنتين و كان لعبد اللَّه من العمر خمسة عشر عاما، و لم يكن له من الصلة مع الرسول الأكرم (صلّى اللَّه عليه و آله) ما يؤهله لذلك، و قد طعن فى صحيفة عبد اللَّه هذه الحافظ ابن كثير فى المجلد الأول من تاريخه البداية و النهاية.

و من هذه الصحف أيضا صحيفة سعد بن عبادة الأنصارى، و صحيفة عبد اللَّه بن أبى أوفى، و صحيفة جابر بن عبد اللَّه، و صحيفة سمرة بن جندب، و صحف ابن عباس.

و كان المعروفون بالفتوى فى هذا الدور كثيرين، منهم الإمام على- عليه السّلام- و ابن عباس و عمر بن الخطاب و أبو بكر و عثمان بن عفان و عمار ابن ياسر و معاذ بن جبل و أبو سعيد الخدرى و سلمان الفارسى و زيد بن ثابت.

و كان الإمام على (عليه السلام) هو المرجع فى تشخيص الحكم الشرعى، فعن ابن عباس أنّه قال: إذا حدّثنا ثقة عن على بفتيا فلا نعدوها «۱».

و قد تواتر عن عائشة أنّ عليا أعلم الناس بالسنّة «۲».

و ممّا يدلّ على ذلك قول عمر: «أقضانا على» «۳».

و روى صاحب الاستيعاب بسنده عن المغيرة: «ليس أحد منهم أقوى قولا فى الفرائض من علىّ» «۴».

و قد اجتمع عند أهل المدينة و أهل الكوفة و بقية الأمصار الإسلامية

---

(۱) الطبقات الكبرى ۲: ۳۳۸.

(۲) الاستيعاب ۳: ۴۰.

(۳) صحيح البخارى ۶: ۲۳، طبقات ابن سعد ۲: ۳۳۹، أخبار القضاة ۱: ۸۸، المستدرك على الصحيحين ۳: ۳۰۵، الاستيعاب ۳: ۳۸، تاريخ ابن عساكر ۳: ۲۸.

(۴) الاستيعاب ۳: ۴۱.

تأريخ الفقه و تطوراته (المنتخب)، جامع‌المقاصد، ص: ۱۰

مسائل كثيرة فى كلّ باب، و صار لكلّ عالم من التابعين مذهب معيّن، فكان سعيد بن المسيب بالمدينة، و عطاء بمكّة، و إبراهيم النخعى بالكوفة، و الحسن البصرى بالبصرة، و طاوس باليمن، و مكحول بالشام.

و أهمّ فقهاء هذا الدور عبد اللَّه بن عباس المتوفّى بالطائف سنة ۶۸ ه، و كان يسمى ترجمان القرآن، و كان عالم أهل مكّة فى التفسير و الفقه.

و سعيد بن جبير، و هو من خريجى مدرسة الكوفة، و قد شهد له جماعة بالفقه و العلم.

كان ابن عباس إذا سأله أهل الكوفة عن أمور دينهم يقول: أ ليس فيكم سعيد بن جبير؟ «۱».

و قال فيه ميمون بن مهران: مات سعيد و ما على وجه الأرض رجل إلّا و هو يحتاج إلى علمه.

و عدّه اليعقوبى من الفقهاء الذين يفتون الناس فى عصر الوليد و سليمان ابنى عبد الملك «۲».

و قال فيه ابن حجر: فقيه ثبت «۳».

و قد قتل سعيد صبرا على يد الحجاج بن يوسف سنة ۹۵ ه.

و سعيد بن المسيب، و هو من الفقهاء، و كان زعيم مدرسة أهل الحديث حكى عن الذهبى أنّه قال فيه: أعلم الناس بالقضاء، و سيّد التابعين، و ليس فيهم أحد أوسع علما منه.

و ذكر أرباب التراجم أنّه أبى أن يزوّج ابنته للوليد بن عبد الملك، و زوّجها لأحد الفقراء المسمّى (أبو وداعة)، و كان لا يقبل جائزة السلطان. و كان بينه و بين الحسن البصرى مكاتبة.

و كان هو و القاسم بن محمد بن أبى بكر، و أبو خالد الكابلى من ثقات الإمام علىّ بن الحسين عليه السلام و حواريه.

---

(۱) تهذيب التهذيب ۴: ۱۱.

(۲) تاريخ اليعقوبى ۲: ۲۹۲.

(۳) تقريب التهذيب ۱: ۲۹۲ ۱۳۳.

و قد توفى سعيد سنة ۹۴ ه.

و إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعىّ المتوفى سنة ۹۶ ه كان له مذهب، و هو رئيس مدرسة أهل الرأى و القياس، و كان شيخا لحماد بن أبى سليمان الذى هو شيخ أبى حنيفة.

كان يذهب إلى أنّ الأحكام الشرعية لها علل، و أنّ على الفقيه إدراكها، ليجعل الأحكام الشرعيّة تدور مدارها خلافا لمذهب داود الظاهرى و سعيد بن المسيب.

و قد نقل حديثه البخارى و مسلم.

و قد كثرت المذاهب و جاوزت الحد، فكان لكلّ بلد فقيه الذى يسود رأيه الفقهى بقية الآراء، و لكلّ عالم منهجه فى استنباط الأحكام، و قد قيل أنّ المذاهب بلغت أكثر من خمسين مذهبا، و ذلك لاتّساع رقعة البلاد الإسلامية و دخول أمم مختلفة فى الدين الإسلامى الحنيف، و لا يمكن- طبعا- تخلّصها من ماضيها بين يوم و ليلة، فكان الفقيه هو الذى يوائم بين الأحكام الإسلامية و بين الظروف المحيطة بها.

هذه المذاهب منها ما رزق الاتباع فبقى، و منها ما اندثر، نذكر من المذاهب المندثرة على سبيل المثال:

مذهب عبد الرحمن الأوزاعى المتوفّى سنة ۱۵۷ ه، الذى انتشر بالشام حتّى ولى قضاء دمشق أبو زرعة محمد بن عثمان من أتباع الشافعى الذى أدخل مذهبه بالشام و عمل على نشره، و كان يهب لمن يحفظ مختصر المزنى مائة دينار، و بالدعوة إلى هذا المذهب انقرض أتباع الأوزاعى بالشام فى القرن الرابع، و كان مذهب الأوزاعى الغالب على أهل الأندلس ثمّ انقطع هناك بعد المائتين و تغلّب مذهب مالك «۱».

مذهب سفيان الثورى المتوفى عام ۱۶۱ ه، و قد كان سفيان متسترا خائفا من سلطان زمانه، و كان قد أخذ عنه أناس منهم باليمن، و آخرون بأصفهان

---

(۱) موسوعة جمال ۱: ۳۴.

و جماعة بالموصل، و قد انقرض مذهبه بعد فترة وجيزة.

المذهب الظاهرى: و هو مذهب داود بن على بن خلف الأصفهانى المعروف بالظاهرى، ولد بالكوفة سنة ۲۰۲ ه و نال رئاسة العلم فى

بغداد و كان شافعيا فى أوّل أمره ثمّ استقل بمذهب خاص، و انتقل سنة ۲۲۳ ه إلى نيسابور ثمّ رجع منها إلى بغداد، و توفى فيها سنة ۲۷۰ ه.

و قد اتخذ لنفسه مذهبا خاصا و هو العمل بظاهر الكتاب و السّنة ما لم يقم دليل على خلافهما، و كان لا يرى البحث عن علل الأحكام، و إن لم يجد نصا عمل بإجماع الصحابة أو إجماع العلماء. و قد أبعد عن استنباطاته القياس و الاستحسان و التقليد و الرأى، و ادّعى أنّ فى عمومات النصوص من الكتاب و السّنة ما يكفى لكلّ سؤال.

و يقول ابن فرحون المتوفّى سنة ۷۹۹ ه، عن المذهب الظاهرى و مؤسّسة داود بن على: إنّ داود بن علىّ المتوفى سنة ۲۷۰ ه كثر أتباعه، و انتشر مذهبه ببلاد بغداد و بلاد فارس، و أخذ به قليلون من أهل إفريقية و أهل الأندلس، و هو ضعيف الآن- أى فى عصر ابن فرحون-.

و يقول ابن خلدون المتوفّى سنة ۸۰۸: إنّ مذهب أهل الظاهر قد اندرس اليوم بدروس أئمته، و إنكار الجمهور على منتحليه، و لم يبق إلّا فى الكتب المجلّدة، و ربما عكف عليها كثير من الطالبين الذين تكلّفوا انتحال هذا المذهب ليأخذوا منه مذهبهم و فقههم، فلا يظفرون بطائل، و لا ينالون إلّا مخالفة الجمهور و إنكارهم عليهم، و ربما عدّوا مبتدعين بنقلهم العلم من الكتب من غير مفتاح المعلمين.

و قد فعل ذلك ابن حزم بالأندلس على علوّ مرتبته فى حفظ الحديث، و صار إلى مذهب أهل الظاهر، و مهر فيه باجتهاد زعمه، و خالف إمامهم داود، و تعرّض للكثير من أئمّة المسلمين، فنقم لذلك الناس عليه، و أوسعوا مذهبه استهجانا و إنكارا، و تلقّوا كتبه بالإغفال و الترك، حتّى أنّه ليحظر بيعها بالأسواق، و ربما مزّقت فى بعض الأحيان.

و هذا الطبرى أبو جعفر محمد بن جرير المتوفّى سنة ۳۱۰ أخذ الفقه عن

داود، و درس فقه أهل العراق و مالك و الشافعى على رجاله، و لم ير أحمد فقيها و ما رآه إلّا محدّثا، و لذا شنّعوا عليه بعد موته، و بعد أن نضج كان له مذهب فى الفقه اختاره لنفسه، و كان له أتباع، من أجلّهم المعافى النهروانى القاضى، و كانت له و لأتباعه مؤلّفات فقهيّة لكنّها لم تصل إلينا، و لو لا تفسيره الجليل ما وصل إلينا هذا القدر القيّم من مذهبه، و لم نقف حتى الآن على أنّه كان له اتباع موجودون بعد القرن الرابع «۱».

و بعد اندثار القسم الكبير من هذه المذاهب بقيت مذاهب اخرى منها ما شاع فى أقطار خاصّة بعيدة عن مركز الدولة كالأباضية: و هم أتباع عبد اللَّه بن إباض الخارجى المعروف المتوفى سنة ۸۶ هجرية فى عهد عبد الملك بن مروان، و قد وجدت الحركة الإباضية تربتها الخصبة فى بلاد العرب، و بخاصة فى عمان، حيث أصبحت بتوالى الزمن المذهب السائد بها، و دخل هذا المذهب المغرب و انتشر بين البربر.

المذهب المالكى:

ينتسب إلى مالك بن أنس بن مالك الأصبحى المتولّد عام ۹۳ ه بالمدينة و والده غير أنس الصحابى المعروف، و توفى عام ۱۷۹، عاش ردحا من عمره فى دولة الأمويين، و استمرّ به الشوط إلى دولة العباسيين.

تفقّه على الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) و ربيعة الرأى التابعى و سمع الحديث من نافع مولى ابن عمر و الزهرى.

و أشهر تلاميذه الشافعى و محمد بن الحسن الشيبانى و أسد بن الفرات و عبد اللَّه بن وهب.

بزغ نجمة فى زمن المنصور، و قد ألحّ عليه المنصور أن يكون مفتى الدولة و قد ضمن له حمل الرعيّة على آرائه الفقهيّة، و لعلّ ذلك كان من المنصور حدا من تمادى انتشار مدرسة الإمام الصادق (عليه السلام).

و انتشر مذهبه فى الأندلس و شمال إفريقيا.

و لمالك كتاب أسماه (الموطأ) و كيفية تأليفه للكتاب أنّه لقى المنصور فى

---

(۱) موسوعة جمال ۱: ۳۴.

تأريخ الفقه و تطوراته (المنتخب)، جامع‌المقاصد، ص: ۱۴

موسم الحج و اعتذر منه عمّا صدر من عامله بحقّه، و طلب منه أن يؤلّف كتابا فى الحديث يكون عليه المعوّل فى الفتوى و القضاء.

و قال له: ضع الفقه و دوّن منه كتبا، و تجنّب شدائد عبد اللَّه بن عمر، و رخص عبد اللَّه بن عباس، و شوارد عبد اللَّه بن مسعود، و اقصد إلى أواسط الأمور، و ما اجتمع عليه الأئمّة و الصحابة لنحمل الناس إن شاء اللَّه على علمك و كتبك، و نبثّها فى الأمصار و نعهد إليهم أن لا يخالفوها، فكتب مالك الموطأ.

و اهتمّ الخلفاء العباسيون و أعوانهم فى إطرائه بألقاب كثيرة حتى قالوا: انّ رسول اللَّه سمّاه بهذا الاسم، و أن لا مثيل له بعد كتاب اللَّه.

و اختلفوا فى منزلته من بين كتب السنّة، فمنهم من جعله مقدّما على الصحيحين كابن العربى و ابن عبد البر و السيوطى و غيرهم «۱».

قال الليث بن سعد: أحصيت على مالك سبعين مسألة، و كلّها مخالفة لسنّة الرسول، و قد اعترف مالك بذلك «۲».

و أشهر الكتب فى المذهب المالكى هو المدوّنة لتلميذه أسد بن فرات و التى أخذها سحنون و رتّبها و نشرها باسم المدوّنة الكبرى.

و أهم المصادر التى اعتمد عليها فى استنباطه للأحكام و فى فقهه، مضافا للكتاب و السنّة هى:

۱- الاستحسان ۲- الاستصحاب ۳- المصالح و الذرائع ۴- العرف و العادة و القياس عنده فى مرتبة ضعيفة.

المذهب الحنفى:

اشارة

ينتسب إلى النعمان بن ثابت بن زوطى بن ماه (أبو حنيفة) المولود فى الكوفة سنة ۸۰ ه، و قد تفقّه فيها و كانت دراسته و تلقّيه للفقه عن شيخه حمّاد بن أبى سليمان (المتوفّى سنة ۱۲۰ ه) تلميذ إبراهيم بن يزيد النخعى (المتوفّى سنة ۹۶ ه).

و قد توفى أبو حنيفة فى بغداد سنة ۱۵۰ ه.

---

(۱) الإمام الصادق و المذاهب الأربعة ۲: ۵۵۶، و مقدّمة مستدرك الوسائل ۱: ۲۱.

(۲) أضواء على السنّة المحمديّة: ۳۴۶.

تأريخ الفقه و تطوراته (المنتخب)، جامع‌المقاصد، ص: ۱۵

و تتلمذ أيضا على الإمام جعفر الصادق، و على أبيه الإمام محمد الباقر عليهما السلام، و على زيد بن على، و قد أكثر تلميذاه أبو يوسف و محمد بن الحسن الشيبانى من الرواية عن الصادق (عليه السلام) فى مسنديهما لأبى حنيفة «۱».

و كان أبو حنيفة معتزّا بالسنتين اللتين درس فيهما على الإمام الصادق (عليه السّلام) و قد عبر عنهما بقوله: «لو لا السنتان لهلك النعمان».

و كانت طريقة أبى حنيفة فى الاستنباط للأحكام الشرعية على ما نقل عنه من الأخذ بكتاب اللَّه فإذا لم يجد فيه أخذ بسنّة رسول اللَّه (صلّى اللَّه عليه و آله) المتواترة. أو ما اتّفق علماء الأمصار على العمل بها، أو ما رواها صحابى أمام جمع منهم و لم يخالف فيها أحد، فإذا لم يجد ذلك أخذ بإجماع الصحابة، فإذا لم يجد ذلك اجتهد و عمل بالقياس، فإذا قبح القياس عمل بالاستحسان. و كان تشدّده

فى عدم العمل بالسنّة سببا فى كثرة أخذه بالقياس و الاستحسان و الاجتهاد بالرأى «۲».

و قد اشتهر قول الصادق (عليه السّلام) فى ردّ القياس و نفيه عن أن يكون مصدرا من مصادر التشريع «إنّ دين اللَّه لا يصاب بالعقول، و إنّ أوّل من قاس إبليس قال: أنا خير منه خلقتنى من نار و خلقته من طين».

و نتيجة لذلك المنهج الفقهى فقد حدثت بين أبى حنيفة و بين علماء عصره منازعات، و من ذلك ما حدث من وحشة و نفرة بين أبى حنيفة و بين عظماء فقهاء أهل الكوفة، كسفيان بن سعيد الثورى المتوفّى سنة ۱۶۱ ه، لأنّ أبا حنيفة من أهل الرأى و سفيان من أئمّة الحديث، و شريك بن عبد اللَّه النخعى قاضى الكوفة المتوفّى سنة ۱۷۷ ه، و محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى المتوفّى سنة ۱۴۸ ه، و كان من أصحاب الرأى و هو الذى يقول الثورى فيه و فى ابن شبرمة «فقهاؤنا ابن ابى ليلى و ابن شبرمة».

---

(۱) أدوار علم الفقه: ۱۴۲.

(۲) نفس المصدر: ۱۴۲.

و قد طعن الظاهرية بالمذهب الحنفى بأنّه فلسفة فارسيّة، و رمى ابن حزم أبا حنيفة و أتباعه بالكلام القارص فوصف أقوال أبى حنيفة و أتباعه بالكذب و بالكلام الأحمق البارد، و سدّد الخطيب البغدادى سهامه فى تأريخه بعبارات خشنة عليه و على أتباعه «۱».

و قد روى عنه تلاميذه فى الحديث مسانيد عديدة بلغت على ما يحكى خمسة عشر مسندا، منها مسند القاضى أبى يوسف يعقوب المتوفّى سنة ۱۸۲ ه، و مسند محمد بن الحسن الشيبانى المتوفّى سنة ۱۸۹ ه، و غيرها جمعها قاضى القضاة محمد الخوارزمى المتوفى سنة ۶۶۵ ه، فى كتاب واحد أسماه (جامع المسانيد).

و لكن ابن خلدون يذكر فى مقدمته أنّ الأحاديث المروية عن أبى حنيفة تبلغ سبعة عشر حديثا أو نحوها.

و مسائل الفقه عند الحنفية ثلاثة أقسام:

الأوّل: الأصول،

و هى المسائل التى رواها الثقات عن أبى حنيفة أو أحد تلاميذه كأبى يوسف و زفر و محمد بن الحسن الشيبانى و غيرهم ممّن سمع من نفس أبى حنيفة و تسمّى بظاهر الرواية و قد جمعها محمد بن الحسن المذكور فى كتب ستّة تعرف بكتب ظاهر الرواية أو مسائل الأصول، و عن هذه الكتب أخذت جمعية مجلّة الأحكام العدليّة أكثر مسائلها المدوّنة فيها.

الثانى: النوادر،

و هى المسائل التى رواها الموثوق بهم عن أبى حنيفة أو عن أصحابه، و لكن لم تشتهر روايتها و تسمّى بكتب النوادر أو مسائل النوادر، ككتاب أمالى محمد فى الفقه.

الثالث: الفتاوى،

و هى المسائل التى أفتى بها مجتهد و الحنفيّة المتأخّرون فيما لم يرووا فيه رواية عن أبى حنيفة و لا عن أصحابه، و لكن كانت الفتوى تخريجا على مذهبه، و يقال إنّ أوّل كتاب عرف فى هذا القسم- أعنى فتاوى الحنفية- هو

---

(۱) أدوار علم الفقه: ۱۴۶- ۱۴۷.

تأريخ الفقه و تطوراته (المنتخب)، جامع‌المقاصد، ص: ۱۷

كتاب «النوازل» لأبى ليث السمرقندىّ المتوفّى سنة ۳۷۶ ه «۱».

و قد كان لأبى حنيفة تلاميذ شاع ذكرهم و ولوا لبنى العباس القضاء، فخدموا مذهب استاذهم بما استطاعوا من نفوذ.

و أشهر تلاميذه هم: أبو يوسف مؤلّف كتاب «الخراج» الذى تناول فيه الدستور المالى للدولة الإسلامية فقها مجرّدا. و كذلك محمد بن الحسن الشيبانى، له كتب ستّة، جمع فيها مسائل الأصول فى مذهب إمامه، و هى: المبسوط (الأصل) و الجامع الصغير، و الجامع الكبير و الزيادات و السير الصغير و السير الكبير، و هذه الكتب سمّيت بكتب ظاهر الرواية لأنّها رويت عنه برواية الثقات، و قد جمع هذه الكتب الستة الحاكم الشهيد فى كتاب أسماه «الكافى» و شرحه السرخسى فى كتابه المبسوط، كما جمع الحاكم الشهيد أيضا كتب النوادر لمحمد بن الحسن فى كتاب واحد سماه «المنتقى» «۲».

و كانت هناك منافرة شديدة بين أبى يوسف و محمّد بن الحسن الشيبانى.

و ثالثهم: زفر بن الهذيل الكوفى.

و رابعهم الحسن اللؤلؤى الكوفى، و كان هؤلاء الأربعة نسبتهم لأبى حنيفة نسبة التلاميذ لأستاذهم، لا نسبة المقلدين إلى مرجعهم، لاستقلالهم بما به يفتون، و قد يخالفونه فى الفتوى.

المذهب الشافعى:

ينتسب الى أبى عبد اللَّه محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع و إليه ينسب الشافعى.

ولد بغزّة سنة ۱۵۰ ه، و توفى بمصر سنة ۲۰۴ ه، و تلمّذ على مالك صاحب الموطأ و على إبراهيم بن محمد بن يحيى المدينى تلميذ الإمام الصادق (عليه السّلام) و أكثر الشافعى من الرواية عنه، ثمّ ذهب لليمن و قد بلغ سن الثلاثين للقيام بعمل يساعده على دهره، و اتّهم هناك بالتشيّع فأمر هارون الرشيد بحمله إليه سنة ۱۸۴ ه، و جىء به للرشيد و هو بمدينة الرقة، و بعد ذا أمر بإطلاقه

---

(۱) أدوار علم الفقه: ۱۴۴.

(۲) مناهج الاجتهاد فى الإسلام: ۳۶- ۳۷.

تأريخ الفقه و تطوراته (المنتخب)، جامع‌المقاصد، ص: ۱۸

و اتّصل بمحمد بن الحسن الشيبانى صاحب أبى حنيفة- ثمّ رجع لمكّة المكرمة، ثمّ عاد للعراق مرة ثانية سنة ۱۹۵ ه زمان خلافة محمد الأمين، ثمّ عاد للحجاز، و فى سنة ۱۹۸ ه قدم العراق مرّة ثالثة، و منه سار إلى مصر و نزل بالفسطاط و لم يزل بها حتى مات سنة ۲۰۴ ه «۱».

و من أشهر تلاميذ الشافعى أبو ثور و أحمد بن حنبل و الحسن الزعفرانى و الحسين الكرابيسى و أحمد بن يحيى البغدادى.

قال الدهلوى:

جاء الإمام الشافعى فى أوائل ظهور مذهب الإمام أبى حنيفة، و الإمام مالك، و ترتيب أصولها و فروعها، فنظر فى صنيع الأوائل، فلم يأخذ ببعض ما أخذوا به كالحديث المرسل، و كمل بعض النواقص الموجودة فى تلك المذاهب حسب اعتقاده- فوضع أصولا، و

قواعد دوّنها فى كتاب يعتبر أول تدوين وصلنا فى أصول الفقه، و عمل بالأحاديث التى لم تبلغ من قبله، أو لم تصح فى نظرهم، فاجتهدوا بآرائهم أو اتّبعوا العمومات، أو اقتدوا ببعض الصحابة، أو ظهرت بعد الأئمة، و تركها الأتباع، ظنّوا عدم أخذ الإمام بها، و ترك شيوخ أهل البلد إيّاها علّة قادحة فيها، و ترك بعض أقوال بعض الصحابة لكونه مخالفا للحديث، و أبطل العمل بالرأى الذى هو بمعنى نصب مظنة الحرج، أو مظنة المصلحة علّة للحكم و الذى اختلط بالقياس الذى يجيزه الشرع «۲».

و طريقة الشافعى فى الاستنباط أن يأخذ بظواهر القرآن إلّا إذا قام الدليل على عدم إرادة ظاهرها، و بعده بالسنّة، و كان يعمل بخبر الواحد الثقة الضابط و لو لم يكن مشهورا خلافا للحنفيّة، و لا موافقا لعمل أهل المدينة خلافا لمالك، ثم يعمل بعد ذلك بالإجماع و عدم الخلاف، ثمّ بعد ذلك يعمل بالقياس إذا كانت علّته منضبطة.

و ردّ أشدّ الرد على عمل الحنفية بالاستحسان، و ألّف فيه كتابا سمّاه

---

(۱) أدوار علم الفقه: ۱۵۷.

(۲) حجة اللّه البالغة، للدهلوى ۱: ۳۰۴.

«إبطال الاستحسان» و ردّ عمل المالكيّة بعمل أهل المدينة، و أبطل العمل بالمصالح المرسلة، و أنكر الأخذ بقول الصحابى لأنّه يحتمل أن يكون عن اجتهاد أخطأ فيه، و رفض الحديث المرسل، إلّا مراسيل ابن المسيّب لأنّه يرى أنّ القوم متّفقون على صحّتها «۱».

و «إنّ الذى أملاه الإمام الشافعى على تلاميذه بمسجد عمرو بن العاص بالفسطاط بمصر و قدم له برسالة فى أصول الفقه، و قد عرف هذا الكتاب باسم «الام» و كانت الرسالة هى أول ما كتب و دوّن فى علم الأصول كما يروى ذلك ابن خلدون و غيره، و كما ينبئ عنه الواقع، و أنّه كان ابن النديم فى الفهرست يقول: إنّ أبا يوسف الفقيه الحنفى سبق الشافعى فى هذا، و الشيعة الإمامية يقولون أيضا أنّهم أول من كتب فيه» «۲».

و يحكى عن الغزالى فى إحياء العلوم، و عن أبى طالب المكى فى كتاب قوت القلوب أنّ كتاب الام لم يصنّفه الشافعى و إنّما صنّفه تلميذه أبو يعقوب البويطى، ثمّ زاد عليه الربيع بن سليمان و تصرّف فيه و أظهره بهذه المظهر «۳».

و له فى الفقه مذهبان قديم و هى آراؤه المذكورة فى كتبه نحو: الأمالى، و مجمع الكافى، و عيون المسائل، و البحر المحيط و جديد، و هى: الأم، و المختصرات و الرسالة، و الجامع الكبير، و الإملاء، فالقديم ما عليه أهل مصر، و الجديد ما عليه أهل العراق، و قيل: له مذهب ثالث بين المذاهب كما هو الظاهر من كتاب المجموع للنووى فى نقله للأقوال فى موارد متعددة.

المذهب الحنبلى:

ينتسب إلى أحمد بن حنبل الشيبانى المروزى المولود ببغداد سنة ۱۶۴ ه و المتوفّى بها سنة ۲۴۱ ه.

درس الحديث على هيثم بن بشير و على الشافعى.

و صنّف المسند الذى يحتوى على نيف و أربعين ألف حديث، رتّبه حسب

---

(۱) أدوار علم الفقه: ۱۵۸.

(۲) مناهج الاجتهاد: ۳۷.

(۳) أدوار علم الفقه: ۱۵۹.

السند لا حسب أبواب الفقه فجمع لكلّ صحابى أحاديثه، و قد توفّى قبل أن ينقّحه و يهذّبه، و قد رواه عنه ابنه عبد اللَّه بعد أن نقّحه و هذّبه، و اتّهم بأنّه أضاف للمسند بعض الأخبار الموضوعة.

و لم يكتب فى الفقه إلّا ما أجاب به عن بعض المسائل، و المنقول عنه أنّه حرم على تلاميذه كتابة الفقه إلا أنّهم كتبوا الفقه، و ممّن كتب من تلاميذه عبد الملك بن مهران و جمع هو و غيره فتاويه و أقواله الفقهية و جعلوها أساسا لمذهبه الذى نسبوه إليه.

و من أشهر أصحاب أحمد و تلاميذه أحمد بن هانى الأثرم الذى روى عنه الفقه و الحديث، و عبد الملك الذى كتب الفقه عنه، و ولداه صالح الذى ورث الفقه عن أبيه و ولى القضاء على خلاف سنة أبيه، و عبد اللَّه الذى ورث الحديث عن أبيه و أشهر ما رواه المسند.

و طريقة أحمد فى الاستنباط الفقهى أن يأخذ بالنص كتابا أو سنّة حتى المرسل و الضعيف منها، و كان يقدّم الكتاب على السنّة، عند التعارض فى الظاهر، و كان إذا أعوزه النص أخذ بفتاوى الصحابة التى لم يختلفوا فيها. و عند الاختلاف بين الصحابة يرجّح قول من كان أقرب للكتاب أو السنّة، فان لم يظهر له ما هو أقرب حكى الخلاف.

و كان أحمد- كما نقل عنه- يقدّم الحديث المرسل على القياس و الرأى إذا لم يكن ما يعارضه من الكتاب أو السنّة أو قول الصحابى أو اتفاق على خلافه، و إلّا استعمل القياس و الاستصحاب و الذرائع، و المصالح المرسلة.

و كانت القاعدة عنده فى العقود و الشرائط هى قاعدة الإباحة إلّا إذا قام الدليل على المنع «۱».

و يحكى أنّ محمدا بن جرير الطبرى صاحب التفسير و التاريخ ألّف كتابا ذكر فيه اختلاف الفقهاء و لم يذكر أحمد بن حنبل فقيل له فى ذلك فقال: لم يكن فقيها و إنّما كان محدثا «۲».

---

(۱) انظر أدوار علم الفقه: ۱۶۴.

(۲) انظر أدوار علم الفقه: ۱۶۵.

و قد ظهر كما قلنا أكثر من خمسين مذهبا كلّ له إمامه المجتهد الخاص به، ثمّ عملت السلطة على حصر المذاهب فى أربعة مختارة هى: الحنفى و الشافعى و المالكى، و الحنبلى، و بدأ بذلك طور التقليد.

طور التقليد:

يتحدّد هذا الطور بأوائل القرن الرابع الهجرى حيث انسدّ باب الاجتهاد عند أهل السنة، و لم ير مجتهد بعد محمد بن جرير الطبرى المتوفّى سنة ۳۱۰ ه، و قد اختفى فى هذا الطور- تقريبا- ظهور أئمّة مجتهدين مستقلّين معترف لهم بذلك من الرأى العام الفقهى.

على أنّه لم يخل ممّن ادّعى الاجتهاد المطلق، فهذا عبد الوهاب السبكى صاحب الجوامع و الطبقات يكتب فى ورقة لنائب الشام:

«أنا اليوم مجتهد الدنيا على الإطلاق، و لا يقدر أحد يرد علىّ هذه الكلمة» «۱».

و كثر فى هذا الطور المجتهدون المنتسبون، و هم الذين اجتهدوا فى حدود المذهب الذى يتبعونه.

و من هؤلاء عند الحنفيّة: أبو جعفر الطحاوى المتوفّى ۳۲۱ ه، و الجصاص المتوفّى ۳۷۰ ه، و شمس الأئمة السرخسى المتوفى ۴۸۳ ه.

و منهم عند الشافعيّة: القفال الكبير الشاشى المتوفّى ۵۰۷ ه، و إمام الحرمين المتوفى ۴۷۸ ه، و الرافعى المتوفى ۶۲۳ ه، و الغزالى المتوفّى ۵۰۵ ه، و النووى المتوفى ۶۷۶ ه.

و منهم عند المالكية: ابن أبى زيد القيروانى المتوفى ۳۸۶ ه، و ابن رشد المتوفى ۵۲۰ ه، و اللخمى المتوفى ۴۷۸ ه.

و منهم عند الحنابلة: أبو بكر الخلال المتوفّى ۳۱۱ ه، و موفق الدين بن قدامة المتوفّى ۶۲۰ ه، و ابن القيم المتوفّى ۷۵۱ ه.

(۱) موسوعة جمال ۱: ۳۷.

تأريخ الفقه و تطوراته (المنتخب)، جامع‌المقاصد، ص: ۲۲

و تلاحظ كثرة المجتهدين المنتسبين عند الشافعية، فهذا السيوطى فى القرن العاشر الهجرى يدّعى الاجتهاد المطلق.

«و بعد أوائل القرن العاشر الهجرى لم يبق سلطان غير سلطان التقليد، و جاء زمان لم يبق من الاجتهاد إلا اسمه، و أصبح دعواه بل دعوى إمكان وجوده ذنبا لا يغتفر، و اقتصرت وظيفة العلماء فى اختصار الكتب و شرحها و التعليق عليها.

نعم ظهر علماء أمثال: الإمام الشوكانى و. ادّعوا الاجتهاد المطلق، أو قيل: انّهم مجتهدون، لكن ظهور هؤلاء يشبه ظهور بعض النجوم فى ليل مظلم، انقشع عنها السحاب لمحة و أخفاها عن الأنظار ساعات طوالا».

و قد شكا بعض العلماء من زوال سلطان العلم و سيطرة الجهل على العقول «۱».

الوثوق بالمؤلّفات:

كان الوثوق بالمؤلّفات يعتمد أسسا معينة، فالرواية المشهورة أقوى من الرواية النادرة أو الرواية غير المقول بها.

و لذا ترى الحنفيّة يقدّمون ما فى كتب ظاهر الرواية- كتب محمد الستّة- على ما يخالفه ممّا جاء فى كتب النوادر، لأنّ الرواية الأولى مشتهرة دون الثانية.

و الشافعيّة يقدمون ما رواه الربيع المؤذن فى (الأم) على ما رواه الزعفرانى عن الشافعى للسبب نفسه.

و المالكيّة يقدمون ما فى مدونة سحنون على ما روى فى غيرها.

و قد عنى الفقهاء بالقواعد الفقهيّة و كان أكثر من عنى بالقواعد فقهاء الحنفيّة فقد كانوا أسبق من غيرهم فى وضع القواعد و الاحتجاج بها، و ذلك لأنّ طبيعة فقههم و اتجاههم نحو الرأى و وجود الفقه الافتراضى بينهم و توسعهم فى

(۱) انظر: فلسفة التشريع الإسلامى للأستاذ صبحى محمصانى: ۱۸۳، و الفكر السامى فى تاريخ الفقه الإسلامى للحجوى ۴: ۲۶۹، و الرسالة الحميديّة للشيخ حسين بن محمد الطرابلسى: ۲۴۵، و أعلام الموقعين لابن القيم ۲: ۳۵۶، و الاجتهاد: ۹۱.

تأريخ الفقه و تطوراته (المنتخب)، جامع‌المقاصد، ص: ۲۳

الفروع بناء على ذلك جعلهم يعملون على إيجاد قواعد كليّة تحكم هذه الفروع المتنافرة.

و قد جمع أبو طاهر الدباس فقيه الرأى بالعراق أهمّ قواعد المذهب فى سبع عشرة قاعدة كليّة، ثمّ أضاف إليها الفقيه الكرخى المتوفّى سنة ۳۴۰ ه و المعاصر للدباس بعض ما يمكن اعتباره قواعد حتى أوصلها إلى سبع و ثلاثين، ثمّ جاء الدبوسى الحنفى المتوفى سنة ۴۳۰ ه فألّف كتاب «تأسيس النظر» و جعله مشتملا على ست و ثمانين قاعدة.

ثمّ وضع العز بن عبد السلام الفقيه الشافعى المتوفّى سنة ۶۶۰ ه كتابه «قواعد الأحكام فى مصالح الأنام» كما وضع القرافى المالكى المتوفّى سنة ۶۸۴ ه كتاب «الفروق»، ثمّ جاء السبكى المتوفّى سنة ۷۵۶ فوضع كتابه «التاج»، ثمّ ابن رجب الفقيه الحنبلى المتوفّى سنة ۷۹۵ فوضع كتابه «القواعد الفقهية» ثمّ جاء السيوطى الفقيه الشافعى المتوفى سنة ۹۱۱ ه من بعد هؤلاء فوضع كتابه «الأشباه و النظائر» ثمّ جاء ابن نجيم المصرى الفقيه الحنفى المتوفّى سنة ۹۷۰ فوضع كتابا أيضا أسماه «الأشباه و النظائر»، ثمّ جاء أبو سعيد الخادمى المتوفّى حوالى ۱۱۵۴ ه فسرد فى خاتمة كتابه «مجامع الحقائق» مجموعة كبيرة من القواعد الفقهية مرتّبة ترتيبا أبجديا» «۱».

و بمرور الزمن و قلّة النوابغ من الفقهاء و قلّة المتجرّدين منهم فقد سار أكثرهم- بعد حصر المذاهب- فى ركاب السلطة، و تحوّلت الدراسة و الاعتماد العملى، إلى المختصرات و المتون، و انصرفت الهمم إلى شرحها و التعليق عليها.

فاشتهرت عند الحنفية مختصرات الطحاوى و الكرخى و القدورى و غيرها.

و اشتهر عند الشافعية مختصر المزنى و المهذّب و التنبيه للشيرازى و الوجيز للغزالى و غيرها.

و اشتهر عند المالكية مختصر ابن أبى زيد و تهذيب البرادعى و مختصر ابن الحاجب.

---

(۱) مناهج الاجتهاد فى الإسلام: ۳۸- ۳۹.

تأريخ الفقه و تطوراته (المنتخب)، جامع‌المقاصد، ص: ۲۴

و كان هذا التهاون فى دراسة الفقه و الترك لمنابعه الأصيلة، و اعتماد كتب انقطعت سلسلة الرواية لها، من عوامل تأخّر علم الفقه.

لقد فتح هذا التهاون بابا واسعا من الشرّ، حتى حمل التلمسانى و المقرى من فقهاء المالكية على القول بأنّ كثرة التأليف قد أفسدت الفقه، لأنّ الرواية قد تركت و انقطعت سلسلة الاتّصال، فكثر التصحيف، و نقلت الأحكام من كتب لا يدرى ما زيد فيها و ما نقص، و قد كان أهل المائة السادسة و صدر من السابعة لا يجوّزون الفتيا من كتاب «التبصرة» للّخمى، لأنّها لم تصحح على مؤلّفها و لم تؤخذ عنه، و أكثر الناس اليوم لا يسيرون على هذا النمط، و لهذا كان التأليف سببا لفساد الفقه «۱».

المدارس و أثرها:

كانت الدراسة الدينيّة عموما من مهام المساجد و بيوت العلماء، و قد استمرت على ذلك عدّة قرون.

و كان هذا من الأمور التى تفسح بعض الحرّية أمام الأساتذة و الطلاب فى البحث و النقد و التحليل.

ثمّ كانت أوّل مدرسة هى المدرسة النظاميّة التى أنشأها الوزير نظام الملك بنيسابور، ثم توالى إنشاء المدارس النظاميّة فى بغداد و دمشق و غيرهما من البلاد.

و كثر إنشاء المدارس فى عهد الأيوبيين و المماليك فى بلاد مصر و الشام و ما والاها، كما كثرت فى عهد الأتراك العثمانيين، و كان من أشهرها مدارس الآستانة الثمان «۲».

و كانت المدارس تقبل من يخضع لقوانينها، و تترك الفضلاء الذين همّهم حرّية الدرس و البحث «۳».

---

(۱) موسوعة جمال ۱: ۵۱.

(۲) انظر موسوعة جمال: ۴۰.

(۳) يلاحظ أن المدارس الشيعية لم تخضع لنظام الحاكم يوما ما على طول تاريخها من صدر الإسلام إلى الآن، فكانت حرّة فى البحث و الدرس و استمر الاجتهاد إلى يوم الناس هذا.

تأريخ الفقه و تطوراته (المنتخب)، جامع‌المقاصد، ص: ۲۵

و قد كان بناء أتباع السلطان للمدارس و وقفهم لها الأوقاف التى تديمها سببا لتدخل الحكومات فى شأن هذا العلم الجليل، ثمّ فى الإشراف عليها، ثم تولّى أمرها جملة و تفصيلا كما هو الحال فى مصر و فى أكثر البلاد.

و بذلك انقضى عهد التعليم و التعلّم الفقهى الحر، اللّهم إلّا فى اليسير من الأماكن.

و قد حمل التلمسانى و المقرى من فقهاء المالكيّة فى القرن الثامن الهجرى على أن قالا: إن المدارس كانت سببا فى ضياع الفقه «۱».

الفقه الشيعى- أسسه و أدواره-

اشارة

إنّ القرآن الكريم هو رسالة اللّه إلى الناس عموما، و هو الكتاب الخالد الذي ينطق بالحق، و الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه، الكتاب الذى تكفّل اللّه تعالى بحفظه فقال: «إِنّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنّا لَهُ لَحافِظُونَ» «۲».

القرآن الكريم هو المصدر الأوّل للشيعة فى كلّ ما يهمّهم من أمور دينهم و دنياهم، لا يقدّمون عليه شيئا مهما كان.

و نحن نعلم أنّ النبىّ (صلّى اللّه عليه و آله) انشغل فى مكّة المكرّمة، بتثبيت أصول العقيدة الإسلامية فى النفوس، و كان القرآن الكريم واكب هذه البداية الرائعة للدين الإسلامى، فكانت الآيات القرآنية النازلة فى مكّة المكرمة تعالج- فى الأعم الأغلب- هذه الناحية المهمّة.

فالآيات القرآنية المكّية و التى تمثّل ثلثى القرآن. تعنى بالجانب العقائدى و الدعوة للّه و للرسول و للآخرة، و ذكر بعض الحوادث الهامة، كمعركة بدر و الأحزاب و ما شاكلها.

الدور الأول (دور التشريع)

ثمّ هاجر صلوات اللّه عليه و آله إلى المدينة، فأسّس الدولة الإسلامية

---

(۱) انظر موسوعة جمال: ۴۰.

(۲) الحجر ۱۵: ۹.

تأريخ الفقه و تطوراته (المنتخب)، جامع‌المقاصد، ص: ۲۶

الأولى، و الدولة- كما نعلم- تحتاج إلى قوانين لتنظيم أمور المجتمع الاقتصادية و السياسية. فكان القرآن الكريم ينزل مبيّنا الطريق الصحيح للإنسان فى هذه الحياة.

و أمّا الآيات القرآنية النازلة على الرسول الأعظم صلّى اللّه عليه و آله فى المدينة المنورة فهى ثلث القرآن تقريبا تبيّن الأحكام و القوانين الشرعيّة، كمسائل البيع و الرهن و الإجارة و الحقوق و الحدود، إضافة للأحكام العباديّة كالحجّ و الزكاة و الجهاد و غيرها.

هذه الآيات الكريمة التى نزلت فى المدينة المنورة هى التى أصبحت- فيما بعد- المصدر الأساس لفقهاء المسلمين فى استنباط الأحكام التى يحتاجها المجتمع الإسلامى، و التى تنظّم حياة المسلمين، و تضمن لهم سعادة الدارين.

و كان النبى صلّى اللّه عليه و آله يبيّن للنّاس هذه الأحكام.

و استمر بعد النبى (صلّى اللّه عليه و آله) الأئمّة المعصومون من آله يقومون مقامه فى تبيين الأحكام الشرعيّة.

و قد دوّن أمير المؤمنين (عليه السّلام) كتاب «الجامعة» و هى من إملاء رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله) و خطّ علىّ (عليه السّلام) و هى فى جلد أدم طولها سبعون ذراعا، و قد تواتر نقل مضمونها فى أحاديث الأئمة (عليهم السلام).

و كان لسلمان رضى اللّه عنه مدونة من حديث النبىّ (صلّى اللّه عليه و آله).

و هذا الدور هو دور التشريع، و هو أول أدوار الفقه الشيعى، و قد استمر إلى سنة ۲۶۰ ه.

و يخطئ من يظن أنّه لم يكن فى هذا الدور فقهاء و علماء فى الشريعة فقد كان النبى و الأئمة عليهم السلام يؤكدون لإعلام شيعتهم على الإكثار من البحث فى أمّهات المسائل العلميّة، و ما إرسال الإمام الصادق عليه السلام لهشام إلّا إحدى تلك الصور، فكانوا يهيّئونهم لمراحل أقوى و أكثر.

تأريخ الفقه و تطوراته (المنتخب)، جامع‌المقاصد، ص: ۲۷

و كان الإمام عليه السلام يقول: «علينا إلقاء الأصول و عليكم بالتفريع» «۱».

فعيّن الإمام الأصول و القواعد الكليّة، و ما على العلماء من الأتباع إلّا الاستنتاج و التفريع و الاستنباط «۲».

و من أهمّ فقهاء هذا العصر هم الأئمة عليهم الصلاة و السلام، و كان جمع كثير من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام من أتباع هذه المدرسة، منهم: أبو رافع إبراهيم مولى رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله، و كان من خيار الشيعة، و لأبى رافع كتاب «السنن و الأحكام و القضاء» «۳».

قال الذهبى فى ميزان الاعتدال: فهذا- أى التشيع- كثر فى التابعين و تابعيهم مع الدين و الورع و الصدق، فلو ردّ حديث هؤلاء- أى الشيعة- لذهب جملة الآثار النبوية «۴».

فى كتاب الكافى عن إسحاق بن جرير، قال: قال أبو عبد اللَّه الصادق عليه السلام: «كان سعيد بن المسيب و القاسم بن محمد بن أبى بكر و أبو خالد الكابلى من ثقات على بن الحسين عليه السلام» «۵».

و قال ابن حجر عن الإمام الصادق عليه السلام: «و نقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان، و انتشر صيته فى جميع البلدان، و روى عنه الأئمّة الأكابر كيحيى بن سعيد و ابن جريج و مالك و السفيانيين و أبى حنيفة و شعبة و أيوب السختيانى» «۶».

فكانت المدينة فى عهد الإمام الباقر و الصادق عليهما السلام مدرسة كبرى للفقه الشيعى، و مركزا عظيما من مراكز الإشعاع الفكرى.

---

(۱) وسائل الشيعة ۱۸: ۴۱.

(۲) انظر الكافى ۳: ۳۳، ۸۳، ۸۸، التهذيب ۱: ۳۶۳، الاستبصار ۱: ۷۷، ۷۸، الوسائل ۱: ۳۲۷، جامع أحاديث الشيعة ۱: ۱۱۶، ۱۱۸.

(۳) أعيان الشيعة ۱: ۱۲۳.

(۴) ميزان الاعتدال ۱: ۵.

(۵) الكافى ۱: ۳۹۳ ۱.

(۶) الصواعق المحرقة: ۱۹۹.

و كان من جراء ذلك أن شدّد الجهاز الحاكم على الإمام الصادق عليه السلام، و راقبه مراقبة شديدة، للحدّ من نشاطه و إيقاف المدّ السارى نحوه من قبل الفقهاء و العلماء و الناس عامّة للإنتهال من نمير علمه الفيّاض، و لكن التيّار أخذ طريقه، و اكترع العلماء من ذلك المنهل الصافى رغم تشديد السلطة.

و كان طلّاب العلم يتحيّنون الفرص للوصول إلى الامام عليه السلام، و خوفا من عيون الخلفاء كانوا يقصدونه ليلا، و مع كلّ ذلك سار الفقه الشيعى شوطا واسعا، و ترك لنا التاريخ تراثا عظيما من ذلك الفكر الثابت.

و قد ضبط الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملى فى آخر الفائدة الرابعة من الوسائل «۱» من الكتب المصنّفة خلال حياة الأئمّة الاثنى عشر عليهم السلام (ستة آلاف و ستمائة كتاب).

كما و يجب أن لا ننسى أنّ دور الفقهاء أنفسهم بإعطاء الزخم المعنوى و الفكر الثقافى، و إمدادهم بما يجود به فكرهم الصائب من إرشادات قيّمة كان عاملا حساسا و هاما فى تقدم تلك المدرسة.

و لأصحاب الأئمة آراء كثيرة تعارض أقوال الأصحاب الآخرين، و مع ذلك فلم يطعن عليهم أىّ أحد. و اعتمد الشيعة فى اجتهادهم على الاستدلال المنطقىّ و التحليل العقلىّ فى اطار القرآن و السنة.

و قد اعتمد الكثير من أصحاب الأئمة عليهم السلام على الاستدلال العقلى، و اتهموا بذلك انّهم يعملون بالقياس، منهم: الفضل بن شاذان النيشابورى القمى المتوفّى سنة ۲۶۰ ه، المتكلم الشيعى المعروف و مؤلّف كتاب الإيضاح و آراؤه معتبرة و مورد بحث فى الطلاق و الإرث و مسائل متفرقة أخرى «۲».

و منهم: يونس بن عبد الرحمن الذى تعدّ نظراته فى مباحث خلل الصلاة و الزكاة و النكاح و الإرث مورد الاعتماد «۳».

و زرارة بن أعين و جميل بن دراج من أخصّ صحابة الإمام الصادق

---

(۱) وسائل الشيعة ۲۰: ۴۹.

(۲) الكافى ۶: ۹۳، و ۷: ۸۸، ۹۰، ۹۵، ۱۱۶.

(۳) الكافى ۷: ۸۳، ۸۴، ۱۱۵، ۱۲۱، ۱۲۵.

تأريخ الفقه و تطوراته (المنتخب)، جامع‌المقاصد، ص: ۲۹

عليه السلام، و عبد اللَّه بن بكير من فقهاء الشيعة و فتاواهم كثيرة «۱» و كان علماء الشيعة فى تلك العصور من أعظم العلماء على الإطلاق، فلم يعد هناك متكلّم يمكنه الوقوف أمام هشام بن الحكم.

علما انّ التعصب المذهبى بلغ بهم إلى أن يقول أبو الحسين الكرمى رئيس الفقه الحنفى فى العراق، المتوفّى سنة ۳۴۹ ه: «إنّ كلّ آية أو حديث يخالف ما عليه أصحابنا فهو مؤوّل أو منسوخ».

فكان لعلماء الشيعة الفضل فى إرجاع العلماء إلى التأليف على ضوء الكتاب و السنّة.

و قد كانت لهم اليد الطولى فى إخراج فقهاء السنّة من التقليد، لكثرة احتجاجهم عليهم، و مباحثتهم معهم فيه، ففى بغداد عاصمة الدولة الإسلامية تجد فقهاء الشيعة قد ناقشوا أرباب المذاهب السنيّة بصورة حادّة فى النوادى و المجالس العامّة.

و كان الفقهاء أحرارا فى انتخاب الآراء حسب الاستنباطات التى يتوصّل إليها عقلهم، حتّى وصل الحد إلى أنّ فقهاء الشيعة يعارض بعضهم بعضا فى ذلك الوقت، و فى حضور الإمام و لم يردّهم عليه السلام عن ذلك، و من تلك المناظرات ما كتبه هشام فى رد مؤمن الطاق «۲».

و كانت المدوّنات الحديثية فى تلك الفترة ناقصة و غير كاملة إلّا مدوّنة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، كما و لم تكن فى تلك الفترة كتب فقهيّة تعنى بنقل الفتاوى، بل إنّ الموجود هو تلك الموسوعات الحديثية، كما هو الحال فى صياغة المقاييس الخاصة بالاجتهاد و معالجة الأحاديث المتعارضة، فكانوا يرجعون إلى الإمام عليه السلام مباشرة لوجوده بين ظهرانيهم يستمدون منه القول الفصل.

فتتحدّد معالم هذه المدرسة فى عدّة نقاط هامّة من أنّ الاجتهاد لا زال بدائيّا فى محتواه، لوجود الرسول الأعظم صلّى اللَّه عليه و آله و الأئمة الميامين

---

(۱) راجع كشف القناع: ۸۲، ۸۳، ۱۹۸، ۲۴۴.

(۲) رجال النجاشى: ۴۳۳.

تأريخ الفقه و تطوراته (المنتخب)، جامع‌المقاصد، ص: ۳۰

عليهم السلام، و لعدم حصول البون الشاسع بظهور المسائل الخلافيّة بين المذاهب الإسلاميّة، أو بالأحرى عدم وجود مثل تلك المدارس.

الدور الثانى (دور التدوين)

يبدأ هذا الدور من بداية الغيبة الصغرى سنة ۲۶۰ ه الى انتقال الشيخ الطوسى رحمه اللَّه الى النجف الأشرف سنة ۴۴۸.

و هذا الدور يتّصل بالدور السابق عن طريق كتب الحديث التى جمعت أصولها فى المرحلة السابقة، و كانت الستة آلاف كتاب و الأربعمائة الأصول.

و قد كان فقهاء هذا الدور ينقسمون الى فئات ثلاث:

۱- علماء الفقه الذين يعتمدون الحديث، و يتأثّرون خطى أهل البيت (عليهم السّلام) و قد أثّر مسلكهم هذا فى كتبهم، فهى كتب فقهيّة لا تتجاوز ألفاظ الأحاديث الشريفة.

و من هؤلاء الفقهاء:

أ- علىّ بن بابويه- والد الشيخ الصدوق- و من كتبه الفقهيّة كتاب الشرائع و هو رسالته الى ولده.

ب- ولده الشيخ الصدوق، و له كتاب المقنع، و كتاب الهداية.

ج- ثقة الإسلام الكلينى، و له الكتاب المعروف بالكافى و قد استغرقت الأحاديث الفقهية خمسة أجزاء من أجزائه الثمانية.

و قد كان المحدّثون الأوائل كالصدوق و الكلينى و غيرهم، و خصوصا خريجو مدرسة قم ينظرون الى الاستدلالات العقليّة بأنّها نوع من القياس الذى نهى عنه الامام، و لكن البعض رأوا ذلك مشروعا و عملوا على ضوئه. و انّ أصحاب الحديث كانوا يرون أنّ النهى الوارد من الأئمة عن العمل بالقياس فى الروايات شامل لتلك الاستدلالات.

و قد كتب الكثير من علماء الشيعة فى رد الاجتهاد كالنوبختيين و أبو القاسم على بن أحمد الكوفى «۱».

---

(۱) رجال النجاشى: ۲۶۵.

تأريخ الفقه و تطوراته (المنتخب)، جامع‌المقاصد، ص: ۳۱

۲- علماء يعتمدون على مبانيهم الأصولية العقلية، و لهم طريقتهم الخاصّة بهم فى الاستدلال الفقهى، و كانوا يستدلون بالعقل على كثير من الأمور منهم:

أ- أبو محمد الحسن بن على بن أبى عقيل العمانى الحذاء (ابن أبى عقيل) شيخ فقهاء الشيعة، و الظاهر أنّ الزعامة الدينيّة الشيعيّة كانت له بعد الغيبة الصغرى، انتقلت إليه بعد آخر السفراء الأربعة.

و هو أول من أدخل الاجتهاد بشكله المعروف إلى الأبحاث العلمية، و صنف (المستمسك بحبل آل الرسول) الكتاب الذى كان فى القرنين الرابع و الخامس من أهم المراجع الفقهية عند الشيعة، و هو أول من حرّر المسائل الفقهيّة، و ذكر لها الأدلّة، و فرّع عليها الفروع فى ابتداء الغيبة الكبرى.

و قد أثنى الشيخ المفيد على كتابه (المستمسك).

و كان ابن أبى عقيل أوّل من طرح مسألة (عدم انفعال الماء القليل) و تبعه على ذلك آخرون، و للسيد صاحب الرياض رسالة فى ذلك.

و قد أدرك زمان السمرى آخر السفراء الأربعة، و عاصر الكلينى و الصدوق على بن بابويه، و قد استجازه جعفر بن قولويه صاحب «كامل الزيارة» المتوفّى ۳۶۸ ه، و قام بشيخوخة مذهب آل البيت (عليهم السّلام) بعده ابن الجنيد.

ب- أبو علىّ محمد بن أحمد بن الجنيد الكاتب الإسكافى المتوفّى عام ۳۸۱ ه، من أعلام القرن الرابع الهجرى، و مؤلّف كتاب «تهذيب الشيعة لأحكام الشريعة» و «الأحمدى فى الفقه المحمدى»، و الأخير من الكتب التى كانت موجودة حتّى عصر العلّامة الحلى، و لكنّها تلفت بعد ذلك، و لم يعد لها أىّ خبر يذكر.

و قد أطلق اصطلاح القديمين على هذين العلمين و هو من إبداع ابن فهد الحلى العالم الشيعى فى القرن التاسع الهجرى.

و لكن الطائفة لم تأخذ بأقوال ابن الجنيد و ابن أبى عقيل لأنّهما كانا يعملان بالقياس و الرأى، و كانا يعتبرانه حجّة، و لذا لم يعتمد على أقوالهم.

تأريخ الفقه و تطوراته (المنتخب)، جامع‌المقاصد، ص: ۳۲

و كان ابن أبى عقيل لا يرى حجّيـة خبر الواحـد، و كانت فتاواه تعتمد على الأمور المسلّمة فى القرآن و الحديث، و لم يعتمد إلّا على الأحاديث التى لا شكّ و لا شبهة فيها، و التى هى قويّة محكمة، و كانت آراء ابن أبى عقيل مورد تقدير و احترام العلماء الأعلام.

و اما ابن الجنيد فقد كان يرى حجّية الأحاديث المذهبيّة، الغير القطعيّة.

و لأجل الـدفاع عن نفسه أمام هجمات علماء زمانه ألّف كتبا عديدة منها «كشف التمويه و الإلباس على أغمار الشيعة فى أمر القياس» و «إظهار ما سرّه أهل العناد من الروايـة عن أئمّـة العترة فى أمر الاجتهاد» و هو أثر بين فى كيفيـة اسـتدلاله فى الفقه، و كتابه «المسائل المصرية» أثر بين فى طريقته الفقهيّة.

و قـد ظهر نتيجـة لاختلاف مسـلك المحدّثين، و مسـلك القديمين فى الفقه، مسـلك ضـعيف لم يسـتمر طويلا، و هو مسـلك يعتمد الظاهر فى الأحكام الفقهيّة، و من أهمّ القائمين به أبو الحسين الناشـى على بن عبد اللّه بن وصيف، المتوفّى ۳۶۶ ه، و قد انقرض و لم يبق منه أثر فى الفقه الشيعى.

۳- علماء جمعوا بين المبانى العقليّة و الحديث فى استنباط الأحكام الشرعية، و من إعلامهم:

أ- الشيخ المفيد المتوفى سنة ۴۱۳.

كان مجددا فى الفقه و الكلام بلا شكّ و قد استطاع أن يفرض وجود مدرسة أهل البيت عليهم السلام على الأجواء العلمية المتحكّمة آنذاك فى بغداد.

قال اليافعى فى مرآة الجنان: عالم الشيعة، و إمام الرافضة، صاحب التصانيف الكثيرة، المعروف بالمفيد، و بابن المعلم أيضا، البارع فى الكلام و الجـدل و الفقه، و كان ينازع كلّ عقيدة بالجلالة و العظمة، و مقدّما فى الدولة البويهية، و كان كثير الصدقات عظيم الخشوع و كثير الصلاة و الصوم حسن اللباس «۱».

و قـد تمكّن المفيـد من أن يكهرب الجو بنـداوته العلميّـة، و يوجه إليه الأنظـار و تطلع إليه الأفئـدة تروم الارتشـاف من ينابيع علمه، و تجتذب نحوه القلوب

---

(۱) مرآة الجنان ۳: ۲۸.

للاستزادة من منهلـة، و كاد أن يسـتحوذ على لبّ أصـحاب المـذاهب الأخرى، و كانت نـدوته عامرة بالنقد و الإبرام و النقاش الحر، و قصده القاصدون من أقطار نائية للاغتراف من معينة، و منهم الشيخ أبو جعفر الطوسى.

و هو من أجلّة تلاميذ ابن الجنيد و قد استفاد منه كثيرا «۱».

و كان يؤكّد على مدى اسـتعداده و عظمة فكره، و لكنّه عارضه و حارب طريقته فى الاسـتدلال و خطّأه فى موارد عديدة، و ألّف كتبا عديدة فى ردّه، منها:

المسائـل الصاغانيـة، و المسائـل السـرويـة، و رسالتـان الاولى فى ردّ المسائـل المصـريـة باسم نقض رسالـة الجنيـدى إلى أهل مصـر، و الأخرى باسم النقض على ابن الجنيد فى اجتهاد الرأى.

تتلمذ المفيد على جعفر بن محمد بن قولويه، و لكنّه تأثر بأفكار و آراء ابن أبى عقيل.

و قد اعتمد تلاميذ المفيد على آراء استاذهم فى ردّ ابن الجنيد.

علمـا بـأنّ الشـيخ المفيـد كان صـريحا، و شديـد اللّهجـة فى ردّ تلك الأفكار التى نشأت عن طريقـة أهل الأخبار، حتّى ظنّ البعض أنّ ذلـك منه- رحمه اللّه- ليس لصـراحة لهجته، و لكنّه كـان يرى أن لا طريـق إلى إصـلاح العلم و دوام الـدين إلّا بالشـدّة معهم، و إلّا لاندثرت معالم الدين.

و قد ألّف «مقابس الأنوار فى الرد على أهل الاخبار» فى هذا الباب.

و أهمّ كتبه الفقهية كتاب «المقنعة» و هو المتن الذى شرحه الشيخ الطوسى فى كتابه الكبير «تهذيب الأحكام».

ب- الشريف المرتضى علم الهدى المتوفى ۴۳۶ ه.

و قد اتبع أستاذه فى ردّ المحدّثين، و ألّف عدّة مسائل فى ذلك، من أهمّها: جوابات المسائل الموصلية الثالثة، و رسالة فى الردّ على أصحاب العدد، و رسالة فى إبطال العمل بأخبار الآحاد.

و من أهمّ كتبه الفقهية: كتاب الانتصار، و الناصريات، و عشرات

---

(۱) فهرست الشيخ: ۱۳۴.

الرسائل الفقهية. و هو من كبار علماء هذا الدور بل علماء الشيعة على الإطلاق.

و كان من نتيجة حملات المفيد و المرتضى أن اندثر مكتب القمّيّين و أهل الحديث.

ج- سلّار بن عبد العزيز، المتوفّى ۴۶۳ ه- و من أهمّ كتبه الفقهيّة كتاب المراسم.

الدور الثالث: (دور التطوّر):

و فارس هذا الدور الخطير من أدوار الفقه الشيعى هو شيخ الطائفة محمد ابن الحسن الطوسى المولود سنة ۳۸۵ ه و المتوفّى سنة ۴۶۰ ه.

قصد الشيخ بغداد للاستفادة من علوم المفيد و المرتضى، فكان له ما كان و لازمهم ملازمة الظلّ، و عنى به المفيد و المرتضى معا، و عيّن له المرتضى فى كلّ شهر اثنى عشر دينارا، و لازمه ثلاثا و عشرين سنة حتّى استقلّ شيخ الطائفة بالزعامة و الإمامة للطائفة، فأصبح علم الشيعة و منارها، يقصده الوفّاد لحلّ مشاكلهم، و إيضاح مسائلهم و التلمذ على يده.

كانت مدرسة بغداد تمهيدا لبلورة الأفكار و لجعلها ممتازة فى كيفيّة الاستنباط، و فتحا جديدا فى عالم الفقه الشيعى، و الخروج عن حدود استعراض السنّة و نقل الحديث.

لقد كان لتمركز الفقه الشيعى فى بغداد و فى تلك الظروف الغامضة المشحونة بالفتن و الاضطرابات أثر بالغ فى بلورته حيث تمكّن من فرض وجوده على تلك الأجواء العلميّة، فألّف الشيخ الطوسى كتابه «الخلاف» ليكون فى مقابلهم، و تفرّغ بعد ذلك فقهاء الشيعة فى كتابة الكتب عن الخلاف و الفقه المقارن و بشكل موضوعى و مسهب كالغنية و التذكرة و ما شاكلها.

و بعد أحداث بغداد المؤلمة هاجر الشيخ الطوسى إلى النجف ليؤسّس مدرستها العلمية و يبدأ بتربية جيل جديد، مع تطوير فى منهجيّة الحوزة العلمية و ممارسة زعامة الطائفة.

و كانت مدرسة الشيخ تقوم على أساس مدرسة المتكلّمين و مدرسة أهل

الحديث، و قد تمكّن باستدلالاته العلمية القويّة، و تفريعاته على أمّهات المسائل الفقهيّة من تأليف كتاب «المبسوط» و كتاب «الخلاف»، و الكتابان ذوا محتوى علمى جبار، يعكس مدى مستوى الفكر الشيعى آنذاك.

و كان الشيخ الطوسى أوّل من عالج الفقه الاستدلالى مشروحا مبسّطا فى كتابه «المبسوط» و قد كتب فى مقدمة كتابه أنّ الإمامية لم يكونوا يفرعون الفروع إلى زمانه، و كانوا يقفون عند النصوص التى وصلت إليهم من المتقدّمين من المحدّثين.

و لقد اعتمد الشيخ على الإجماعات كثيرا، و ذلك عند إعواز النصوص و عدم وجود دليل، معتقدا أنّ إجماع الطائفة يوحى بوجود

قول فى الأمر، فخطا الفقه و البحث المنهجى خطوات نحو الإمام فى هذه المرحلة الجديدة، فدخل دورا آخر بعد أن ترك أدوارا خاض غمارها فى ثلاثة قرون.

و قد أوجب الشيخ الطوسى فى كتاب «العدّة» العمل بالخبر من طريق المخالفين إذا لم يكن للشيعة فى حكمه خبر مخالف، و لا يعرف لهم فيه قول كيف و قد عملت الشيعة بما رواه حفص بن غياث العامى الكوفى القاضى و غيره من غير الشيعة.

و انّهم يأخذون بالإجماع إذا كان كاشفا كشفا قطعيا عن سنّة الرسول (صلّى اللّه عليه و آله) و قد ملئت كتبهم الفقهية من الاستدلال به، ككتب الشيخ و السيد المرتضى و العلّامة و غيرهم، حتّى أنّ بعض علماء الشيعة يعمل بالإجماع الذى ينقله مالك عن أهل المدينة فى موطّئه، لكشفه عن رأى المعصوم عنده، و يعمل الشيعة بالرأى إن كشف عن الحكم الشرعى كشفا قطعيا لا ظنيا لعدم حجية الظن «۱».

و ألّف الشيخ كتاب «النهاية» الذى كان محور الدراسات الحوزويّة لعدّة قرون.

و كان فقه شيخ الطائفة- بما فيه من تطوّر ملحوظ و دقّة متناهية و تطوّرا فى

---

(۱) أدوار علم الفقه: ۶۲.

أساليب الاستنباط- حاكما على الأوساط العلميّة الشيعيّة لقرون متمادية و مسيطرا على الفكر الإمامى قاطبة.

و بقى علماء الشيعة مدّة طويلة لا يتعدّون فى أفكارهم نقل أقوال الشيخ و شرحها، فلذلك سمّوا بالمقلّدة، لأنهم كانوا لا يتعدّون تقليد الشيخ.

الدور الرابع: (دور الجمود و التقليد)

و قد أثّرت شخصيّة الشيخ الطوسى العلميّة العظيمة فيمن جاء بعده من فقهاء الشيعة. فكانوا لا يخرجون عن نتائج استنباطه، فلم يبرز فى هذا الدور فقيه مستقلّ غير تابع لمدرسة الشيخ الطوسى و كانوا مهتمين بنقل آراء الشيخ أو شرحها و إيضاحها، فسمّوا بالمقلّدة.

استمرّ هذا الدور حدود قرن من الزمان أى منذ وفاة الشيخ رحمه اللّه إلى ظهور ابن إدريس فى منتصف القرن السادس الهجرى.

يقول سديد الدين الحمصى العالم الشيعى المشهور فى نهاية القرن السادس: إنّ الشيعة بعد الشيخ الطوسى لم يكن لهم فقيه و صاحب نظر، بل كان كلّ الفقهاء يعبّرون عن آراء الشيخ و ينقلون أفكاره فقط.

و من أشهر فقهاء هذا الدور نجله أبو على الحسن بن محمد بن الحسن الطوسى المتوفى حدود سنة ۵۱۵ ه.

و نظام الدين سليمان بن حسن الصهرشتى مؤلّف كتاب «إصباح الشيعة بمصباح الشريعة».

و علاء الدّين على بن الحسن الحلبى مؤلّف كتاب «إشارة السبق إلى معرفة الحق».

و أبو على الفضل بن الحسن أمين الإسلام الطبرسى (۵۴۸ ه) مؤلّف كتاب «المنتخب من مسائل الخلاف».

و عماد الدين محمد بن على بن حمزة الطوسى المتوفّى بعد (۵۶۶) مؤلّف كتاب «الوسيلة إلى نيل الفضيلة».

و قطب الدين سعيد بن هبة الله الراوندى (۵۷۳ ه) مؤلّف «فقه القرآن» و عدّة شروح على النهاية.

و قطب الدين محمد بن الحسن الكيدرى البيهقى (كان حيا إلى ۵۷۶) مؤلّف «الإصباح».

و رشيد الدين محمد بن على بن شهرآشوب السروى المازندرانى المتوفّى عام (۵۸۸ ه) مؤلّف «متشابه القرآن و مختلفه».

الدور الخامس (دور النهوض):

كان الدور الرابع هو دور التقليد للشيخ الطوسى و الجمود على آرائه التى استنبطها. و لم يكن يجرأ أحد من علماء الشيعة على نقدها أو مخالفتها.

و لكن العلم لمّا كان لا يعرف الحدود و القيود، فقد ظهر فى علماء الشيعة من تجاوز بفكره و اجتهاده الصائب كثيرا من آراء الشيخ الطوسى.

فلاحت فى أفق الفقه الشيعى تباشير نهضة علميّة تتقدّم أشواطا بعيدة إلى الامام، و كانت بداية هذه النهضة قائمة على نقد بعض آراء الشيخ الطوسى و مخالفتها.

و قد كان حامل لواء هذه النهضة الشيخ محمد بن إدريس الحلى مؤلّف «السرائر» المتوفّى عام ۵۹۸ ه و كان أشدهم جرأة، و أكثرهم نقدا لطريقة الشيخ الطوسى، حتّى لأمه الكثيرون على هذه الطريقة، و لولاه لم يكن ليجرأ أحد على معارضة أفكار الشيخ الطوسى، بل رأى البعض أنّ ابن إدريس قد تجاوز الحد فى معارضة للشيخ.

و لم يلق ابن إدريس أى ترحيب أو استقبال بل جوبه بمعارضة شديدة، و لكنّه كان الفاتح لنقد الشيخ الطوسى و المحطم للفكر التقليدى الجاف الجامد، و قد أسدى بذلك خدمة كبرى للطائفة فى انفتاح باب الاجتهاد و الاعتماد على الفكر الحرّ المشوب بالصدق و الصفاء.

و من أهمّ الذين انتقدوا الطوسى أيضا: سديد الدين محمود بن على الحمصى الرازى (۵۸۳) و أبو المكارم عزّ الدين حمزة بن على بن زهرة الحلبى (۵۸۵)

تأريخ الفقه و تطوراته (المنتخب)، جامع‌المقاصد، ص: ۳۸

مؤلّف «غنية النزوع».

و معين الدين سالم بن بدران المصرى (۶۲۹)، و نجيب الدين محمد بن جعفر بن هبة اللّه بن نما (۶۴۵)، و العلامة الحلى سديد الدين يوسف بن مطهر الحلى (۶۶۵)، و أحمد بن موسى بن طاوس الحلى (۶۷۳)، و يحيى بن سعيد الحلى (۶۸۹)، و عماد الدين الحسن بن على الطبرسى (۶۹۸).

الدور السادس: (دور الرشد و النمو)

اشارة

أهمّ أعلام هذا الدور المحقّق الحلّى أبو القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن الحلى المتوفى عام ۶۷۶ هجرية.

و من آثاره كتاب شرائع الإسلام «۱»، و المعتبر، و المختصر النافع، و نكت النهاية.

و قد هذّب المحقّق آراء الشيخ الطوسى و بلورها و دون أصولها، و استفاد كثيرا من اعتراضات و انتقادات ابن إدريس، و قابل تلك الانتقادات بالدفاع عن مدرسة الشيخ.

و بعده العلّامة الحلّى الحسن بن يوسف بن المطهر، المتوفّى عام ۷۲۶ هجرية، و له من الكتب الفقهيّة تذكرة الفقهاء، و قواعد الأحكام، و منتهى المطلب، و نهاية الأحكام، و غيرها.

و قد تطوّر فى أيّامه الفقه الاستدلالى المقارن، و كان جلّ من سبقه يعتمدون على كتاب الخلاف للشيخ الطوسى، و لكن بعد العلّامة رفعت اليد عن آراء علماء السنّة- نوعا ما- و انصبّ البحث على آراء علماء الشيعة بتأثير كتب العلّامة و أهمّها فى هذا المجال كتاب «منتهى المطلب» و جاء من بعده المحقّق الآبى، و فخر المحققين- ولد العلامة- فنقلوا الفقه المقارن نقلة متميّزة، فقارنوا بين آراء علماء الشيعة و أعملوا فيها النقد و الإبرام مكان آراء علماء السنة.

(۱) و هو من المتون الفقهية التى حظيت باهتمام العلماء الكبار شرحا و تدريسا، و قد كتبت عليه عشرات الشروح و الحواشى، و هو من أهمّ الكتب الدراسيّة من أيام مؤلّفه و لحد الآن، و يمتاز بجمعه للفروع الفقهية بعبارة سهلة موجزة و بيان بليغ.

تأريخ الفقه و تطوراته (المنتخب)، جامع‌المقاصد، ص: ۳۹

و كان العلّامة من أوائل الفقهاء الذين أدخلوا الرياضيات إلى الفقه، علما بأنّ معين الدين المصرى، و نصير الدين الطوسى- تلميذ العلّامة- أدخلوا الرياضيات فى بحث الإرث.

و من أهم تلامذة العلامة أبو محمد الحسن الآبى، ابن أبى زينب مؤلّف كشف الرموز (۶۷۲).

و عميد الدين عبد المطلب بن محمد الأعرجى، مؤلّف كنز الفوائد (۷۸۴).

و فخر المحققين محمد بن الحسن الحلّى مؤلف إيضاح الفوائد، و حاشية الإرشاد (۷۷۱).

و يعدّ الشهيد الأول المتوفى ۷۸۶ ه قدس سره من أتباع مدرسة العلّامة الحلى، و قد فتح الشهيد للفقه الشيعى آفاقا واسعة جديدة، كانت من أسباب ترقّيه و ازدهاره و تطوره.

و قد ألّف الشهيد فى الفقه الاستدلالى التفريعى، فثبت أركانه، و شيّد معالمه، متأثرا خطى العلّامة، الذى هو بدوره قد تابع الخطوة التى بدأها الشيخ الطوسى فى المبسوط.

كما تمكّن الشهيد من تنقيح الاستدلال على أسس و مبان و قواعد فى كتاب أسماه (القواعد و الفوائد) ليكون باكورة القواعد الفقهية.

و قد استمرت مدرسة الشهيد التى كان لها أتباع كثيرون مدّة قرن أو أكثر.

و كان فكر الشهيد قدس سره تطوّرا ملحوظا فى هذا الدور من أدوار الفقه الشيعى.

و من أشهر السائرين على خطاه هو الفاضل المقداد بن عبد اللّه السيورى (۸۲۶) مؤلّف التنقيح الرائع، و كتاب نضد القواعد و الفوائد للشهيد، و ابن فهد أحمد بن محمد بن فهد الحلى (۸۴۱) مؤلّف المهذب البارع، و مفلح بن حسين الصيمرى (بعد عام ۸۷۸) مؤلّف غاية المرام، و على بن محمد بن هلال الجزائرى (بعد عام ۹۰۹) أستاذ المحقّق الكركى، و إبراهيم بن سليمان القطيفى، و الشهيد

تأريخ الفقه و تطوراته (المنتخب)، جامع‌المقاصد، ص: ۴۰

الثانى زين الدين بن على بن أحمد الجبعى العاملى (۹۶۶) مؤلّف الروضة البهيّة، و روض الجنان، و مسالك الأفهام.

و فى أيام المحقق و العلّامة بدأت آراء ابن الجنيد تطرح نفسها فى الدراسة الفقهية، بعد أن كانت محاربة إلى أيّام المحقّق، أى مدّة ما يقارب القرنين من وفاة ابن الجنيد.

و كان ابن الجنيد يعتمد على العقل بمثابة الوسيلة الأساسية لاستنباط الأحكام الشرعيّة، و يعدّه مساعدا كبيرا للأحاديث المرويّة.

و قد بدأ المحقّق بطرح آراء ابن الجنيد باحترام كبير و إجلال فائق.

و كان العلّامة يرى أنّ ابن الجنيد من أكبر علماء الشيعة و أعلاهم مرتبة فى الاستدلال الفقهى، و قد نقل كثيرا من آرائه فى كتبه باحترام و إجلال.

و اهتمّ الفاضل المقداد و ابن فهد بالاعتناء بآرائه و نقلها، و كان الشهيد الثانى يقول: إنّ ابن الجنيد قليل النظير فى دقّة النظر و التحقيق العلمى.

و كان من نتيجة هذا التطوّر فى الدراسات الفقهية ان اختلفت تقسيمات الفقهاء لفروع علم الفقه و أبوابه.

فهذا ابن البراج قسم الأحكام الشرعيّة فى المهذّب إلى قسمين:

۱- ما هو مورد الابتلاء.

۲- ما ليس مورد الابتلاء.

و قسّم أبو الصلاح الحلبى التكاليف الشرعية إلى ثلاثة أقسام: العبادات و المحرمات و الأحكام «۱».

و فى تقريب المعارف: قسم التكاليف الشرعية إلى قسمين.

۱- الأفعال، ۲- التروك.

و قد كان كلّ فقيه يقسّم الفقه حسب منظاره و مرآة، و يعدّد الموضوعات حسب ذوقه الفنّى، و قد عدّ الشيخ الطوسى و ابن زهرة أقسام العبادات خمسة «۲»،

---

(۱) الكافى ۱۰۹

(۲) الغنية: ۴۸۷، الاقتصاد: ۲۳۹.

تأريخ الفقه و تطوراته (المنتخب)، جامع‌المقاصد، ص: ۴۱

و أمّا سلّار فقد عدّها فى مراسمه ستة «۱»، و أبو الصلاح الحلبى و ابن حمزة و المحقّق الحلّى عشرة «۲»، و يحيى بن سعيد عدّها خمسة و أربعين «۳»، و أمّا سلّار فقسّم الفقه إلى قسمين: العبادات و المعاملات.

و قسّم المعاملات إلى العقود و الأحكام، و قسّم الأحكام إلى الأحكام الجزائية و سائر الأحكام. و على اثر ذلك ألّف المحقّق الحلّى كتابه «الشرائع» و ذكر فيه أربعة أسس، هى: العبادات و العقود و الإيقاعات و الأحكام «۴»، و صار ذلك طريقة لمن تبعهم بعد ذلك كالشهيد الأوّل «۵».

و كان للمحقّق الفاضل المقداد (۸۲۶ ه) طريقة اخرى مختصّة به، و اختلفوا فى تقسيم الأبواب كذلك، فالنهاية للشيخ أحد و عشرون بابا، و مبسوطة فى ۷۱ بابا، و المحقّق فى شرائعه فى ۵۷ بابا، و القواعد للعلّامة فى ۳۱ بابا، و اللّمعة الدمشقية فى ۵۱ بابا، و الدروس فى ۴۸ بابا، و الفيض فى مفاتيح الشرائع ۱۲ بابا.

حلقة الوصل:

من المعلوم أنّ لكلّ دور متقدّم علميا ممهّد يسبق الدور المتقدّم و يؤمن له الاتّصال بالدور السابق، كى لا يظهر الدور المتقدّم بمظهر النشاز و عدم الأصالة.

و كان المحقّق الكركى على بن الحسين بن عبد العالى المتوفى سنة ۹۴۰ ه- و الذى اشتهر بلقب المحقّق الثانى، و هى درجة علميّة عالية لم تعط إلّا للكبار الفطاحل من رجال العلم- هو الممهّد- بحق- لدور التكامل و الرابط له بدور الرشد و النمو.

---

(۱) المراسم: ۲۸.

(۲) الكافى ۱۱۳، الوسيلة: ۳۳، الشرائع ۱: ۸.

(۳) نزهة الناظر: ۷.

(۴) الشرائع: ۱: ۸، ۲: ۵، و ۳: ۵، ۴: ۵.

(۵) القواعد و الفوائد: ۴.

تأريخ الفقه و تطوراته (المنتخب)، جامع‌المقاصد، ص: ۴۲

و كانت حلقة الاتّصال بالدور السابق هى كتابه «جامع المقاصد» الذى شرح فيه قواعد العلّامة الحلّى، و قد كان بعمله هذا رابطا- بحق- بين عصرين من عصور تطوّر الفقه الشيعى.

و كان فقه المحقّق الكركى فى القرن العاشر الهجرى هو الفقه السائد فى الأوساط الشيعيّة، لقوّة استدلاله و مبانيه العلميّة، و استدلالاته

فى الفقه. فكان يناقش آراء السابقين بمتانة خاصّة بعد ذكر آرائهم و دلائلهم و براهينهم، و من ثمّ يفنّدها بأسلوب أجود و أمتن و أدقّ، مع أنّ طريقة الاستدلال لم تكن قويّة إلى هذا الحد قبل زمانه.

علما بأنّه قد بحث فى أمور لم يعر لها السابقون أىّ أهمية تذكر، كحدود اختيارات الفقيه، و صلاة الجمعة، و الخراج، و المقاسمة، و ذلك لاحتياج الدولة الشيعيّة الحاكمة فى إيران خلال تلك الفترة، و لابتلاء النّاس بهذه المسائل، و قد بحثها المحقّق الكركىّ مفصّلا فى «جامع المقاصد».

و قد تأثّر أكثر الفقهاء بمدرسته العلميّة و استدلالاته القويّة، و أهمّهم حسين بن عبد الصمد العاملى (۹۸۴) مؤلّف العقد الطهماسبى، و عبد العالى بن على ابن عبد العالى الكركىّ المتوفّى (۹۹۳) مؤلّف شرح الإرشاد، و بهاء الدين محمد بن حسين العاملى (۱۰۳۱). و المير داماد الأسترآبادى (۱۰۴۰). و سلطان العلماء المرعشىّ (۱۰۶۴). و آقا حسين الخوانسارى مؤلّف مشارق الشموس (۱۰۹۸).

و من القمم الشامخة فى هذه الفترة المقدّس الأردبيلى أحمد بن محمد المتوفى سنة ۹۹۳ ه مؤلّف كتاب «مجمع الفائدة و البرهان» و هو شرح لكتاب العلّامة الحلّىّ «إرشاد الأذهان».

و كانت له طريقته الخاصة فى الاستدلال الفقهى، فقد كان قدس سرّه يعتمد فى استدلاله على الفكر و الاجتهاد التحليلىّ من دون نظر إلى آراء بقيّة العلماء.

و مع أنّه لم يكن ذا تجديد خاص به لكن كانت له طريقته الخاصّة.

و كان لمدرسته أتباع مشاهير، و من أهمّهم:

محمد بن على الموسوى العاملى (۱۰۰۹) مؤلف «مدارك الأحكام».

تأريخ الفقه و تطوراته (المنتخب)، جامع‌المقاصد، ص: ۴۳

و الحسن بن زين الدين العاملى ابن الشهيد الثانى (۱۰۱۱) مؤلف «معالم الدين» و «منتقى الجمان». و محمد باقر بن محمد مؤمن السبزوارى (۱۰۹۰) مؤلّف كتاب «كفاية الأحكام» و «ذخيرة المعاد».

و كان المحقّق ملّا محسن الفيض الكاشانى (۱۰۹۱) مؤلّف كتاب الوافى و مفاتيح الشرائع ممّن يدينون بالودّ و الإخلاص لطريقة المقدّس الأردبيلى، حيث كان أخباريا.

و يعبّر صاحب الجواهر عن صاحب المدارك و السبزوارى و الفيض بأنّهم أتباع المقدّس. علما بأنّ العلّامة المجلسى مؤلّف البحار كان من المتعلّقين بحبّ المقدّس الأردبيلى.

الدور السابع: (دور التكامل)

و هو الدور الذى بلغ الفقه الشيعى فيه درجة عالية من الدقّة و الضبط، و أحكام الأسس، و تفريع الفروع، و جودة الاستنباط.

و كان الفضل كما قرأت للمحقّق الكركى- رحمه اللَّه- فى ربط هذا الدور بالدور السابق، حيث كان حلقة الوصل بين دورين متميّزين من أدوار الفقه الشيعى.

و فى أوائل القرن الثالث عشر ظهر العلّامة الوحيد البهبهانى. و كان من كبار علماء هذا الدور، و قد بقى أثره فى الفقه الشيعى إلى هذا اليوم، فالحوزة العلمية الآن تعيش دور مدرسة الشيخ الأنصارى و الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر المستمدة من آراء و فكر الشيخ الأكبر الوحيد البهبهانىّ.

ظهر الشيخ الوحيد فى عصر كانت الطريقة الأخباريّة فيه سائدة فاشية، فاستطاع الشيخ الوحيد أن يحدّ من غلبتها على الرأى العام، و أن يسير بالفقه الشيعى خطوات واسعة.

و قد تخرّج من مدرسته المئات من كبار العلماء المجدّدين و أساطين العلم

تأريخ الفقه و تطوراته (المنتخب)، جامع‌المقاصد، ص: ۴۴

كصاحب الرياض و المهادى الأربعة «۱» و شريف العلماء. و كثيرون غيرهم.

و مدارس الفقه الشيعيّ الموجودة الآن كلّها تابعة لهذا الدور الذى يعتبر إحدى القمم السامقة فى تطوّر فقه آل البيت عليهم السلام، و فى الحقيقة أنّ مدرسة الشيخ الوحيد هى السائدة فيمن جاء بعده إلى عصرنا الحاضر، فلا تكاد ترى فقيها من فقهاء الشيعة خارجا عن اطر هذه المدرسة فى مناهج الاجتهاد و كيفية استنباط الأحكام.

و هذا ناظر إلى عظمة الدور الذى قام به الشيخ الوحيد و أهمّيته.

---

(۱) المهادى الأربعة هم: السيد محمد مهدى بحر العلوم، السيد محمد مهدى الشهرستانى، الشيخ محمد مهدى النراقى، الشيخ محمد مهدى الفتونى.

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – "رَحِمَهُ اللهُ" – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرِّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جهةٍ اُخرَى.

– من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثُلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتى "القائمیّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِع اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَة

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع "مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع "پنج رَمَضان "ومُفترَق "وفائی/"بنایة "القائمیّة"

تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة)

رقم التسجیل: ۲۳۷۳

الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البرید الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاریّة و المَبیعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمین ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

المیزانیّة الحالیّة لهذا المرکز، شَعبیّة، تبرّعیّة، غیر حکومیّة، و غیر ربحیّة، اقتُنِیَت باهتمام جمع من الخیّرین؛ لکنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزاید و المتّسِعَ للامور الدّینیّة و العلمیّة الحالیّة و مشاریع التوسعة الثّقافیّة؛ لهذا فقد ترجَّی هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البیتِ (المُسمَّی بالقائمیّة) و مع ذلک، یرجو مِن جانب سماحة بقیّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفِّقَ الکلَّ توفیقاً متزائداً لِإعانتهم - فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفیق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹